للحقيقة والتاريخ

ما لا تعرفه عن ثورة يوليو

من ٢٣ يوليو سنة ١٩٦١ حتي ٢٨ سبتمبر عام ١٩٧٠

لطفى عبد القادر

الجزء الثاني

الإهداء

أهدى جهدى المتواضع هذا الذى يمثل أصدق ما كتب عن هذه الحقبة الهامة من تاريخنا المعاصر إلى راصدى التاريخ من العلماء لعله يساعدهم على كتابة التاريخ الحقيقى والدقيق لهذه الفترة الهامة من تاريخ مصر.

لطفى عبد القادر

اسم الكتاب: مالا تعرفه عن ثورة يوليو

اسم الكاتب: لطفى عبد القادر

الناشـــــر: مكتبة مدبولى ـ ٦ ميدان طلعت حرب ـ ت: ٥٧٥٦٤٢١ ـ ٥٧٥٢٨٥٤

الطبعة الأولى

تصميم غلاف:

الجمع التصويرى والتنفيذ: محمد رمضان ت: ٣٦٤٨٥٥٥

المقدمة

عزيزى القارىء

قسمنا مسار ثورة يوليو إلى ثلاث مراحل. الأولى فترة الإنجازات التى انتهينا فى الجزء الأول من كتاب ما لاتعرفه عن ثورة يوليو » عن هذه الفترة التى بدأت منذ قيام الثورة فى فجر ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ حتى ٢٣ يوليو ١٩٦١ موعد صدور القرارات الاشتراكية والثانية ـ موضوع الجزء الثانى من هذا الكتاب والتى نطلق عليها فترة الانتكاسات من يوليو ١٩٦١ حتى سبتمبر ١٩٧٠ موعد وفاة الزعيم جمال عبد الناصر. أما المرحلة الثالثة التي ستكون موضوع الجزء الثالث من ١٧ أكتوبر عام ١٩٧٠ يوم أن آلت مقاليد السلطة دستوريا إلى الرئيس محمد أنور السادات وتحولت فيها الثورة من العسكرية إلى الشرعية الدستورية وبناء الديمقراطية.

ومن واقع ما تضمنه الجزء الأول والجزء الثانى اتضحت عدة حقائق كانت غائبة تماماً، وإنما كشفتها الوثائق والمعلومات. منها أن عبد الناصر فى صراعه مع الشرق والغرب لم يكن داعية حرب وإنما كان يسعى لخلق شخصية مستقلة لمصر، ولكن الشرق والغرب تحالفا للتخلص منه وأجادا لعبة القط والفأر. يتعاديان ظاهريا ويتصارعان لإخفاء تحالفهما وقد أدرك عبد الناصر هذه الحقيقة بعد فوات الأوان يوم أن رفض الاتحاد السوفيتى مده بالأسلحة الهجومية عقب محنة هزيمته فى يونيو ١٩٦٧ وهنا أدرك عبد الناصر خطأ سياسته فراح يغازل الأمريكان ويستغل عقدة ذنب السوفييت، ولكنه أدرك أنه يسبح فى تيار عاصف وبحار عاتية هائجة ولكنها محكومة بارتباطات ومواثيق عقدت بين القوتين الأعظم سرا لم يعرف تفاصيلها وتوجهاتها، وأن ما كشفته المعركة من واقع هذه الارتباطات والمواثيق السرية هى نقطة فى بحر، وأن ما خفى منها

أدهى وأمر ولكن عبد الناصر أدرك فى الوقت نفسه أن الشعب المصرى ومعظم الشعوب العربية مـا زالت تضع ثقتها فيه وتنتظر منه الصمـود فى وجه العاصفة الهوجاء الكاسحة، وتعقد عليه الأمل لإنقـاذها من الهوة السحيقة التى سقطت فيها فجـأة ودون مقدمات، ولذلك رفضت الهزيمة وطالبتـه بالعدول عن تنحيه عن السلطة.

ويذكر لعبد الناصر فى هذه المحنة أنه استـجاب لرغبة الشعب وابتلع مقالب الاتحـاد السوفـيتى، وكظم غـيظه لرفض القيـادة السـوفيـتـية مـنحه الأسلحـة الهـجوميـة واكتـفى باستـخدام مـا قدمـته من أسلـحة دفاعـية بنـى بها قـاعدة الصواريـخ التى قاد بهـا حرب الاستنزاف الـطويلة التى مهـدت لحرب أكـتوبر المظفـرة، وكان عـبـد النـاصـر بعيـد النظر ثاقب الفكر عـندما رفض مـحـاسبـة المتسـببين لهزيمـة يونيو، وتحمل هو وحـده وزرها أمام الشعب فـامتص بذلك غضـبه الذى فاق كل حـد وبات يهدد بكارثة أعنف وأشـد من كارثة الهـزيمة، ولكنه شغل الشعب فيما بعد بمحاكمة المسئولين عنها عسكريا بعد أن استبدلهم بقادة يتميـزون بالعسكرية الصارمة والاطلاع على آخر تطورات الحـرب نفسيا واستراتيجيـا وتكتيكيا كونت العصب القوى الذى كان له فـضل كبير فى نصر أكتـوبر الغظيم. واستطاع بـهذا العصب القـوى من إزالة كل آثار هزيمـة يونيو عام ١٩٦٧ واستطاع بهـم أن يصلح ما انكسر ويرمم ما انهـدم فى وقت قياسى رغم اشتـداد المرض عليه بعد هذه الـهزيمة، ولو امـتد به العمـر لمسح عار هذه الهزيـمة وأعاد عـقارب السـاعة إلى الأمـام ويؤكد هذا الاسـتنتاج مـا جاء فى المحـاضر التى نشـرها محـمد حـسنين هيكل فى كتـابه «الانفـجار ١٩٦٧ التى سجل عبد الناصـر فيها أن الروس سيخسـرون الحرب الباردة ـ وإن كان لديهم بليون قنبلـة ذرية لـم تستعـمل ـ ما جاء على لسـان عبد الناصـر فى عام ١٩٦٧ تحقق فى نهاية الثمانينيات وأوائل التسـعينيات ـ أى بعد ٢٣ عامـا كما جاء فى

أقوال عبد الناصر أنه يعتقد أن المعركة الفاصلة مع إسرائيل ستجيء بعد سبع سنوات وقد تحققت نبوءته أيضا.

لم يكن عبد الناصر يضرب الرمل أو يفتح البخت، وإنما كان هذا استنتاجا طبيعيا بعد دراسته لعوامل هزيمته وموقف الروس وسيطرة الأمريكان عليهم. على أن السؤال الذى ما زال بغير إجابة قاطعة هو «هل كان تنحى عبد الناصر إجراء تكتيكيا لامتصاص آثار نكسة يونيو أم كان صادقا بالفعل فى التنحية؟. أن الأحداث والوقائع تثبت أن القضايا التى خالف فيها عبد الناصر ما توافق عليه أعضاء مجلس الثورة، أو ما نادى به عدد من أعضائه قد جرت عليه نكبات كان فى غنى عنها. فلو سمع رأى بعض أعضاء مجلس الثورة ومنهم عبد اللطيف البغدادى أنه من الأفضل بناء مصر وتقويتها قبل فتح ملف القضية الفلسطينية حتى نطالب بحقوقنا من موقع القوة خاصة، وأن البيان الثلاثى الذى أصدرته أمريكا وبريطانيا وفرنسا قد ضمن الحدود فى هذا الوقت، ولم تكن حدودا ضارة بالقضية كما حدث بعد. ولو أن عبد الناصر سمع رأى بعض أعضاء مجلس الثورة وفى مقدمتهم كمال الدين حسين أنه من الأفضل ألا نزج بقواتنا فى فيافى وقفار اليمن، وإنما نقود حرب عصابات فقط يمكن أن يحقق أهدافنا المرجوة من ثورة اليمن. وهى ترسيخ النظام الجمهورى والقضاء على الإمامة أو الملكية التى كانت قائمة وقتذاك. وخلاف هاتين القضيتين هناك أمور كثيرة لو كان عبد الناصر حسمها طبقا لرأى الأغلبية ما كانت نكسة اليمن ولا نكسة يونيو.

والغريب أن عبد الناصر ارتكب كل هذه الأخطاء وهى تخالف طبيعته. فلم يكن داعية حرب كما يحاول البعض تصويره على هذا النحو دون الغوص فى التحليل المتكامل للأحداث التى تتابعت عليه وثورته وأهدافها ومراميها

الحقيقية الآجلة والعاجلة وأسبابها ودوافعها، حتى يعرفوا لماذا حارب عبد الناصر إسرائيل عام ١٩٥٦ وعام ١٩٦٧ وهل هو الذى بدأ بهذه الحرب أم كانت مفروضة عليه بهدف إذلاله وتقليم أظافره، وفى النهاية الخلاص منه، وكان عذره أن هدفه كان إقامة سلام يحفظ للعرب والفلسطينين كافة حقوقهم بأقل الخسائر فى الأرواح والمعدات.

فى مذكرات محمد نجيب التى يصر من كتبوا التاريخ على تجاهلها ـ أن بعض الإسرائيليين تفاءلوا عندما عرفوا أن عبد الناصر الذى كان على اتصال ببعض ضباط المخابرات الإسرائيلية فى حرب فلسطين هو أحد رجال الثورة ـ كما أكد محمد نجيب ومحمود رياض وزير الخارجية، والذى تولى منصب الأمين العام للجامعة العربية منذ ١٩٤٩ ما نقلته الصحافة العالمية حول المحادثات السرية التى جرت فى النقب بين عبد الناصر وإيجال آلون القائد الإسرائيلى آنذاك، وقصة ضابط المخابرات الإسرائيلية كوهينى الذى التقى بعبد الناصر خمس عشرة مرة أثناء الحرب للتمهيد لمفاوضات السلام، وما أكده الأمير الاى السيد طه الذى كان يطلق عليه الضبع الأسود إظهاراً لشجاعته من أنه وعبد الناصر مثلا الجانب المصرى فى مباحثات جرت مع اليهود.

كل هذه الشهادات والوثائق تؤكد جهود عبد الناصر من أجل السلام منذ عام ١٩٤٨ حتى وفاته. وهى وثائق حقيقية هامة تؤكد أن الغرب وإسرائيل لم يفهموا عبد الناصر، ولو فهموه ماكانت تلك الحروب التى اشتعلت وما كانت الأحداث اتخذت الشكل الذى اتخذته حتى يومنا هذا. على أية حال ستظل فترة حكم عبد الناصر صندوقاً مليئاً بالأسرار، وعند حل رموزها ستتضح الصورة الحقيقية لعبد الناصر، وستكون صورة ناصعة البياض.

لطفي عبد القادر

بعد الانفصال زادت سلبيات الثورة المصرية عن إيجابياتها ودخلت مرحلة جديدة بملامحها ونتائجها

اجتاز عبد الناصر محنة الانفصال وتمالك نفسه، ولكن المحنة تركت فى نفسه غصه وفى قلبه مرارة فأثرت على صحته، وأيضا أثرت على قراراته وتوجيهاته فيما بعد فصل الوحدة بين مصر وسوريا حتى وافته المنية فى ٢٨ سبتمبر عام ١٩٧٠ ولكنه على أية حال امتص مرارته وارتفع فوق جراحه، وأعلن أمام الشعب من دار الإذاعة أن الشعب العربى لن يقبل أن تنكس أعلام القومية العربية.

وكان ذلك فى يوم الانفصال فى ٢٨ سبتمبر عام ١٩٦١ وهو نفس اليوم الذى لقى عبد الناصر فيه ربه عام ١٩٧٠ وفى اليوم التالى عاد إلى الشعب ليعبر له فى خطاب جديد عن مرارته ومأساته بقوله «إنى أعرف أن طعنة الصديق تمزق القلب، ولكنى أطلب من الأمة أن ترتفع على شعورها بالألم» وأعلن أنه أوقف كل العمليات العسكرية وأمر جنود المظلات والأسطول بالعودة. وكان قد كلفهم بإخماد حركة التمرد فى الجزء الجنوبى من الجمهورية العربية المتحدة كما كانت تسمى وقتذاك، وذلك تحت إمرة كمال الدين حسين، وهنا أعلن عبد الناصر أن الوحدة العربية إرادة شعبية ولن يحولها من جانبه إلى عملية عسكرية ورفع شعاره الشهير «لن يرفع عربى السلاح فى وجه أخيه العربى» ولكن لم يمض على هذا الشعار عامان حتى خالفه عبد الناصر حين أمر قواته المسلحة بالتوجه إلى اليمن لمساعدة الثوار ضد الإمام. ضاربا عرض الحائط بالرأى الذى طالبه به كمال الدين حسين، وأيده فيه البغدادى وغيره من أعضاء مجلس الثورة، وهو الاكتفاء بحرب العصابات هناك ومد الثورة بالسلاح الذى تحتاج إليه فقط. حيث ليس من داع لتوريط الجيش المصرى فى حرب ضد أشقاء لنا فى اليمن، وهى الحرب التى أثقلت نفقاتها الباهظة كاهل الجماهير المصرية دون أى عائد عليهم. الأمر الذى جعلهم ينظرون إليها على أنها حرب أقيمت لمجد عبد الناصر فقط وأنهم لاناقة لهم ولا جمل فيها.

الخلاصة أن الثورة المصرية دخلت بعد الانفصال فى مرحلة جديدة بملامحها ونتائجها

وقياداتها. مرحلة انفرد فيها عبد الناصر تماما بالسلطة بعد أن استقال أو أقيل جميع أعضاء مجلس الثورة الذين شاركوه بمغامرة القيام بالثورة، التى لم تكن فرص نجاحها مؤكدة وكان يمكن أن تفشل ، لم يتبق مع عبد الناصر عند وفاته من أعضاء مجلس قيادة الثورة سوى أنور السادات وحسين الشافعى، وقد تخلص عبد الناصر من أعضاء مجلس الثورة على مرحلتين. المرحلة الأولى كانت عندما عزلهم وأقصاهم عن العمل التنفيذى، وجلعهم للتخطيط فقط عندما فكر فى إنشاء مجلس للرئاسة الذى لم يجتمع بصفة دورية. بل يجتمع مرات لاتتعدى أصابع اليد الواحدة. وعندما أنشأ اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى التى ضمتهم جميعا، وهم الذين تولوا العمل التنفيذى، واختص كل منهم فى مجال من المجالات. فعلى سبيل المثال لاالحصر اختص عبد اللطيف البغدادى فى الشئون القروية والتخطيط، وزكريا محيى الدين فى الأمن، وأنور السادات فى العمل النيابى، وصلاح سالم للإرشاد القومى، وعبد الحكيم عامر فى الشئون الحربية إلخ.

والمرحلة الثانية عندما استعان كبدلاء لهم بعدد من المدنيين أو عدد من ضباط الصف الثانى الأحرار، وخاصة فى المناصب التى لم يكونوا يستطيعون تحمل مسئولياتها. فاستعان من المدنيين بالدكتور محمود فوزى للشئون الخارجية، وهو الذى بدأ بالسلم من أدناه وتدرج فيه إلى أن أصبح نائباً لرئيس الجمهورية، واستعان بالدكتور عبد المنعم القيسونى والشيخ الباقورى والدكتور مصطفى خليل والدكتور عبد العزيز حسنى والدكتور نور الدين طراف والدكتور عزيز صدقى وأحمد حسنى وأحمد الشرباصى وغيرهم، وقد فعل عبد الناصر بهم مثلما فعل بأعضاء مجلس الثورة. فأصبح عبد الناصر فى هذه المرحلة يصدر قراراته دون الرجوع إلى أحد. وكثيرا ما كان يعلن أهم هذه القرارات فى خطبه العامة ـ تحاشيا لأية معارضة قد تقوم فى وجه قراراته. وليس من شك أن الذى شجع عبد الناصر على ذلك المجد الشعبى الذى حصل عليه فى أعقاب نجاحه فى كسر احتكار السلاح وإجلاء الإنجليز ووقوفه ضد الأحلاف وغير ذلك من معارك قدر له أن يحرز فيها قصب السبق. بالإضافة إلى أنه كان نجما فى كل اجتماع حضره على مستوى عالمى. فكان نجما فى مؤتمر باندونج، وكان نجما عندما أدى فريضة الحج وقام بالدعوة للمؤتمر الإسلامى،

وكان نجما فى مؤتمر الدول الإفريقية المستقلة الذى عقد فى أكرا عام ١٩٥٨ وفى الأمم المتحدة أثناء حضور الدورة الخامسة عشرة لها عام ١٩٦٠ وفى مؤتمر أقطاب إفريقيا الذى عقد فى الرياض فى يناير ١٩٦٠.

هذا الأسلوب من جانب عبد الناصر أدى إلى أمور عديدة كانت سبباً فى هزيمة يونيو عام ١٩٦٧ منها أن الخوف سيطر على الجميع، وأصبح كل مسئول فى موقعه لايتصرف إلا فى حدود ما يطلب منه. فتجمدت الإدارة الحكومية وسيطر عليها الروتين الممتد، وخيم عليها الإهمال وأصبح الشغل الشاغل للعاملين البحث عن حقوقهم فقط، وأما واجباتهم فآخر ما يتطرق الحديث إليها. وزاد من هذا الخوف تلك التقارير المزيفة التى كان يلجأ إليها جهاز المخابرات بداع ومن غير داع ـ اللهم إلا الإذلال وفقدان الشخصية والإرهاب. كما أن عبد الناصر كان يستعين بأشخاص آخرين غير هولاء الموجودين فى مواقع العمل بالفعل. بحيث أصبح هؤلاء مسئولين فقط بحكم القرار الصادر إليهم وليس شك أن مجتمعاً هذا حاله. جماهير خائفة متحفزة، وصراع ضار بين حكامه. كل يوم يسقط واحد منهم فى الساحة. وتمر الأيام والأمور تسير من سيء إلى أسوأ فضاعت مكاسب المراحل الأولى للثورة.

وأما الأمر الثانى الذى أفرزه أسلوب عبد الناصر فى هذه المرحلة فهو أن هذه الصورة شجعت المدنيين على رفض التعاون مع الثورة. كما حملت أعضاء مجلس الثورة على التخلى عن الأمانة وأصبح منصب الوزير لامطمح فيه. فكثير رفض قبوله خوفا من خشية ما يحدث بعد قبوله إذ إن اختيار الوزراء لم يكن له قياس ثابت، وكان الشعب يفاجأ بوزراء لايعرفهم وليس لهم رصيد فى العمل العام وكثر تغييرهم وتبديلهم بلاسبب معقول لهذا التغيير أو التبديل. فالوزير الذى يقع عليه الاختيار إما أن يكون قريباً لأحد المتمتعين بثقة عبد الناصر، أو يكون قد أحرق البخور للثورة نفاقاً وتزلفاً ورياء. ومن القصص الطريفة التى تأتى بأبلغ وصف لما نحن بصدده من قصور أن صدقى البشبيشى أحد رجال النيابة الكبار وقتذاك كان قد وقع فى حيرة من أمر اثنين من الأشقاء تدرجا فى المناصب

بسرعة مذهلة لا عن كفاءة أو علم، وأنه استمر يتابع أنباءهم لعله يعرف سر النعم التى تغدق عليهما بغير حساب، وبعد عام التقينا به فى القصر الجمهورى بالقبة وكان قد حضر ليسجل اسمه فى دفتر الزيارات مع رجال النيابة فى إحدى المناسبات للثورة، وإذا به يفاجئنى بقوله ـ لقد كشفت سر النعم التى اغدقت على الشابين اللذين تحدثنا من قبل عنهما. . فقلت له وكيف كان ذلك؟. . فقال. . أنت تعرف أننى أقرأ صفحة الوفيات فى الأهرام بعناية. ففى يوم من الأيام وقع نظرى على اسم هذين الشابين فى نعى طويل فدققت النظر فيهما فعرفت أن خالهما أحد الوزراء من الصف الثانى للضباط الأحرار، وهو ذا حظوة كبيرة لدى عبد الناصر وقتذاك. وقال «ياسيدى يابخت من كان النقيب خاله» وأضاف إلى ذلك قوله: هل تعلم أن الوزارة التى فى الحكم الآن بها خمسة عشر وزيرا تربطهم صلة القرابة من مختلف الدرجات الأولى والثانية والثالثة، وأخذ يعد لى أسماء هؤلاء الوزراء، وصلة القرابة التى تربطهم جميعا فتولتنى الدهشة والاستغراب من هذه المعلومات.

راى عد الناصر فى الوزراء المدنيين الذين اختارهم

الباقورى ـ القيسونى ـ مجدى حسنين ـ محمود يونس

لم تنتابنى الدهشة من رواية وكيل النيابة البشبيشى لأن فى الوزارة فى عهد عبد الناصر وزراء تربطهم صلة قرابة. ذلك لأن كثيراً من الوزارات التى تولت المسئولية فى عهده كان يطلق عليها لقب «وزارة عـائلية» ولكن الذى آثار دهشتى أن الوزارة موضع حـديثة كانت تتضمن خمسة عشر وزيراً تربطهم صلة قـرابة من الدرجة الأولى والدرجة الثانية والثالثة، وهو عدد كبير يزيد عن ٣/ ٤ أعضاء الوزارة وقتذاك. ومعنى ذلك أيضا أن الوزراء لم يكن تعيينهم بـسبب كفاءة متـميزة لديهم. وهذا لاشك كان يمـثل عقبة كأداء فى مـسيرة ثورة يوليو، ورغم ذلك فإن الإنجازات كـانت عديدة والمشروعات العملاقة كانت تحـتل مساحة واسعة فى هذا الوقت ـ وهى معادلة صعبة ـ فهـل كان بجانب عبد الناصر هيئة أخرى هى التى كانت تخطط لهذه الإنجازات وتلك المشروعات العـملاقة؟، ربما كانت هذه الهيئة هى هيئة المستشارين التى كانت تحيط بعبد الناصر، وكان مشهود لها بالكفاءة فى ميادين العمل المختلفة، وربما كان ذلك هو السـبب فى عدم اهتمام عبد الناصر بتـعيين الوزراء فى المقام الأول. وتأتى كفـاءته فى المقام الثانى، ولذلك سـمعنا أن الثوة كـانت تحتضن أهل الثـقة ولاتهتم باحتضان أهل الخبرة. الأمر الذى جـعل الضابط هو مهندس وخبير فى كل شئون الدولة. وهذا موضوع آخـر عطل انطلاق الثورة فى تطبيق مبـادئها السته الشهـيرة، وكان سببـا فى الفشل الذى انتابها فى جـهارها الإدارى، إضافة إلى ذلك فإن رأى عـبد الناصر كان يتـغيـر بطريقة فـجائية فـى الوزراء المدنيين الذين اخـتارهم أعضـاء فى الوزاره ويتم إعفاؤهم من مناصبـهم. وقد حاولنا وقتذاك معرفة أسبـاب هذا التحول، ولكن أسقط فى يدنا وكل الذى حدث أنه تم تعيين الباقورى مديرا لجامـعة الأزهر، واستمر الرجل المفترى عليه يثرى المكتبة الدينية بأحاديثة القيمة وكتبه المتميزة بالبحث المستفيض فى أمور الدين.

وما حدث للشيخ الباقـورى حدث مثله للدكتور عبد المنعم القيسـونى الحجة فى شئون المال والاقتصاد الذى لو امـتثل عبد الناصر لآرائه ونظرياته ما كانت مـصر تعانى من أزمة

اقتصادية كتلك التي تعاني منها الآن، وكانت البداية ما أشيع أيضا من وقوع خلاف حاد بين القيسوني ونائبه محمد أبو نصير، وأن هذا الخلاف سينتهي بترك القيسوني وزارة الاقتصاد، وأيضا استفسرنا - نحن مندوبي الصحف والإذاعة - من عبد الناصر عن حقيقة ما يشاع في الشارع المصرى فإذا به يجيبنا - في إصرار عجيب - بقوله : سيستمر القيسوني وزيرا للاقتصاد ما دامت الثورة قائمة) . . وظننا أن ما سمعناه من عبد الناصر سينهى الخلاف القائم بين القيسوني وأبو نصير لصالحه. ولكن كانت المفاجأة أيضا أن الوزارة قد أعيد تشكيلها ولم يتضمن تشكيلها الجديد اسم عبد المنعم القيسوني. . وما حدث للباقورى والقيسوني حدث مع مجدى حسنين مدير مديرية التحرير. فقد أخذت الصحف تمجد في مجدى حسنين مركزة على المجهود الرائع الذى بذله في استصلاح آلاف الأفدنة من أرض الصحراء بأقل النفقات، وأن مديرية التحرير أسهمت بنصيب كبير في المحصول الزراعى بالإنتاج الوفير الذى غلته. وفى هذه الأثناء كنا نسمع همسا يدور يؤكد أن مشروع المديرية فشل تماما وأن ما أنفق عليه من أموال طائلة ضاعت هباء وأن نفقات استصلاح الفدان الواحد فاقت كل جد ممكن وأن ما يراه عبد الناصر في زياراته المتكررة لمديرية التحرير من إنتاج ليس من إنتاج مديرية التحرير، وإنما يجلبه القائمون على شئون المديرية ، من أماكن أخرى كمحاولة لتغطية المصاريف الباهظة التى أنفقت على المديرية، استفسرنا من عبد الناصر كذلك فنفى ما قلناه نفيا قاطعا، ولكن بعد فترة ترك مجدى حسنين مديرية التحرير وعين سفيرا في الخارج. ربما عندما تأكد صدق الإشاعة، ولكن لأنه من أهل الثقة لم يتركه النظام بدون عمل بسبب ما ارتكبه من أخطاء في عمله كمدير لمديرية التحرير، أما المهندس محمود يونس فقد أثنى عبد الناصر على كفاءته ثناء مستطابا في العديد من خطاباته للشعب، وضرب به المثل على الخبرة المصرية التى فاقت الخبرة الأجنبية، وأنه استطاع إدارة قناة السويس بعد التأميم بكفاءة نادرة أدهشت العالم كله وأعادت الثقة في القناة. بحيث أخذت تدر على البلاد ما يساوى ضعف ما كانت تدره قبل التأميم. وبعد مدة أقصى عن منصبه على أثر إشاعات دارات حوله وصلت إلى حد الحقيقة، وأنا أذكر أن عبد الناصر بعد أن عين الدكتور راشد البراوى مديرا للبنك الصناعى، وأشيع حوله

أيضا شائعات وعزل. أنه قال فى إحـدى جلساته المغلقة مع أهل الثقة... ماذا أصنع وأنا كل من أثق فيهم تبـين فيما بعد أنهم ليسـوا أهلا لهذه الثقة هل أغير شعـب مصر بشعب آخر.

والسؤال الآن: هل ثقة عبد الناصر بالناس كانت تتزعزع بمثل هذه السرعة، أم البيانات التى كانت تصله لم تكن تتسم بالصدق والأمانة؟ أم أن هؤلاء الأشخاص ـ ومنهم من تميز بالعلم والقدرة يروقـون له ما داموا ينفذون مـا يملى عليهم، ولايروقون له إذا عـبروا عن رأيهم، وخاصة إذا لم يصادف رأيهم هوى فى نفسه؟ أم أن الانفصال ورد الفعل هو الذى كان يحكم تصرفاته؟ هل هذه الشخصيـات بريئة مما نسب إليهم. سواء أكانوا عسكريين أو مدنيين، وأنهم كانوا ضحية دولة التقارير التى كانت سائدة وقتذاك، وأن عبد الناصر برىء من ذنبهم؟ هل كان الشـرفاء منهم ضحية التآمـر وتصفية الحسـابات؟ بالقطع فإن المدنيين منهم كانوا لم يكادوا يتولون منصبا حتى يغـرقوا فى الحصول على المال بأية وسيلة وبأسرع الطرق. تحسباً للمستقبل المظلم الذى ينتظرهم عندما يستيقظون من النوم ليقرأوا نبأ إقالتهم أو إحالتهم إلى المعـاش من غير ما ذكر للأسبـاب والدوافع، وعلى أية حال فإن هذه نقطة ظلت دون إجابة حتى بعد انتهاء عهد عـبد الناصر، وظلت الاستقالات والإقالات لغزا لم يحله أحد ـ على الرغم من كتابة العديد منهم مذكراته ولكنه لم يتعرض لأسباب إقالته أو إبعاده، وإذا تعـرض فإنه لايكتب الأسـباب الحقيـقية ـ كـما أنه لم يوجـد من يعرف هذه الحقيقة وأنه موجود وإنما آثر السلامة بسكوته...

هذه نقطة لو انجلى الغموض المحيط بها ربما كشفت أسرارا جديدة من أسرار ثورة يوليو تكشف حقائق ليست معروفة بعد...

الخطاب الذى قدم عبد اللطيف البغدادى استقالته بسببه

كان عبد اللطيف البغدادى عضو مجلس الثورة ونائب رئيس الجمهورية واحدا من أعقل وأرزن أعضاء مجلس الضباط الأحرار. نال احترام الجميع وهو يحمل الأمانة مع عبد الناصر وهو خارج الحكم بعد أن قدم استقالته وقبلت. كما كان بغدادى يتميز بالأمانة الشديدة فى عمله وتعامله، ولذلك لما طلب منه أحد المواطنين فى رسالة له نشرتها أخبار اليوم أن يحدد عدد استقالاته لم يعط لنفسه ما تستحقه، وإنما ذكرها مجردة من التمجيد بمواقفه - كما كان يفعل غيره. فقد نشرت أخبار اليوم فى شهر أغسطس من عام ١٩٧٥ رده الذى ذكر فيه أن أولى استقالاته كانت بسبب موقف مجلس قيادة الثورة من محمد نجيب فى أزمة ٢٥ مارس سنة ١٩٥٤ فقد كان الوحيد الذى اعترض على إقالة محمد نجيب، ولكنه خضع لرأى الأغلبية التى أصرت على إعفائه. لكن لما عاد مجلس الثورة وبحث أمر إعادته إلى منصبه نزولا على رأى الجماهير التى قامت بمظاهرات صاخبة فى شوارع القاهرة مؤيدة له. عارض هذا التراجع وأيد رأيه جمال سالم. لكن باقى أعضاء المجلس قرروا الرجوع عن قرارهم الأول وفى ١٤ إبريل سنة ١٩٥٤ - والكلام لعبد اللطيف البغدادى قدم استقالته ثانية فى أعقاب مناقشات حادة وصاخبة وعنيفة فى مجلس قيادة الثورة فى الجزيرة بينه وبين جمال عبد الناصر. وكان قد اجتمع لبحث أسباب التفكك الذى حاق بأعضاء المجلس على أثر الصراع والخلاف مع محمد نجيب وانعكاس ذلك على الشعب والجيش، وقد كانت تلك الفترة من أعصب الفترات التى مرت بها الثورة فى مسيرتها. بل كادت أن تؤدى إلى فشلها لولا أن عبد الناصر قضى على آثارها وأحنى رأسه للعاصفة إلى أن مرت، وبعد ذلك أخذ يعد ويخطط لكى لاتقع الثورة مرة أخرى فى مثل هذا الموقف، وفى ديسمبر عام ١٩٥٧ تقدم بغدادى باستقالته من رئاسة مجلس الأمة، وبعد أشهر قليلة من تشكيل أول مجلس نيابى بعد قيام الثورة. إذ قد تم تشكيله فى ٢٢ يوليو من نفس العام وألقى عبد الناصر خطابا بهذه المناسبة أعلن فيه أن هدف الثورة السادس بإقامة حياة ديمقراطية سليمة قد تحقق. وقال كان موعدنا مع نواب الشعب منذ ٥ سنوات، ولكننا خفنا من حرب الاستقلال وحرب المؤامرات وحرب تثبيت

الاستقلال، وحدد فى هذا الخطاب أساسيات سياسته المستقبلية فى قوله: ثلاثة سبل للأمان. اتحاد يصون جبهتنا فى الداخل، وعدم انحياز يصون جبهتنا الداخلية والخارجية، وقومية عربية تضمن اتساع جبهة القتال علـى أى معتد على إحدى الدول العربية، وقد تقدم بغدادى باستقالته رغم أن الإحساس كان تاما ظاهريا بأن الثورة ستلتزم بقواعد الديمقراطية وأصولها. ولكن يبدو أن الذى حدث كان عكس ذلك كله. فقد أقر بغدادى أنه قدم استقالته عندما أحس بأن هناك اعتداء على الدستور ،وذكر أن كمال الدين حسين قدم استقالته تضامنا معه.

ومن واقع هذه الاستقالات الثلاث التى ذكرها عبد اللطيف البغدادى ردا على رسالة قارىء تبين أن الأمور بالنسبة له ظلت هادئة منذ قيام الثورة حتى أزمة مارس عام ١٩٥٤ ولم تمض أيام حتى اضطربت فقدم استقالته الثانية، ثم هدأت الأمور بالنسبة له بعد ذلك لأكثر من أيام حتى اضطربت فقدم استقالته الثانية ثم هدأت الأمور بالنسبة له بعد ذلك لأكثر من ثلاث سنوات إلى أن قدم استقالته الثالثة عام ١٩٥٧ عندما أحس بالعدوان على الدستور وهو رئيس مجلس الأمة المنوط بـه الحفاظ على هذا الدستور، ولكن هذه الاستقالات مرت دون حدوث أزمة ظاهرة بينه وبين عبد الناصر. وفى رأيى أن استقالات بغدادى كانت صامتة لأنه كان حريصا على استمرار الثورة أكثر من حرصه على نفسه. فلم يشأ أن يستخدم هذه الاستقالات لإثارة المشاعر ضد الثورة وضد عبد الناصر وقد حفظ له عبد الناصر هذا الجميل حى أنه اتخذ إجراءات لإعادة بغدادى إلى الحكم بعد أن بعد عنه فترة طويلة، ولكن المنية عاجلته قبل أن تثمر هذه الإجراءات. والاستقالات الثلاث مرت دون ردود فعل ظاهرة، ولكن استقالة بغدادى عام ١٩٦١ هى التى سمعت. لأنه قدم الاستقالة ولزم بيته. وأخذ الجميع يتساءل عنه فى اجتماعات عقدت ولم يحضرها وكانت استقالته هذه هى الوحيدة التى عرفت أسبابها. فالذى حدث أن جمال عبد الناصر أرسل خطابا دوريا إلى كل الوزراء ومن بينهم بالطبع عبد اللطيف بغدادى ذكر فيه أنه لوحظ وبكل أسف فى الأيام الأخيرة الجرى وراء الصحف والصحفيين وتوزيع نشرات عليهم تهدف لدعايات شخصية ولأن بغدادى لم يكن من هؤلاء الوزراء الذى يعنيهم

الخطاب رد عليه بخطاب شديد اللهجة نفى فيه كل ما جاء فى الخطاب وأثار مسألة الثقة التى انعدمت بين أعضاء مجلس قيادة الثورة، وذكر فيه أن الذين يستخدمون الصحافة والإذاعة للدعاية ليس هو، وإنما الذى لاتخلو صحيفة أو نشرة إذاعة من حديث له أو تصريح أو خبر. بل والذين واظبوا على الادلاء بأحاديث وتصريحات لصحف ووكالات وإذاعات وتليفزيونات أجنبية أوروبية وأمريكية وعربية. والمقصود من هذا الكلام هو عبد الناصر نفسه وضمن خطابه هذا استقالته. أما كمال الدين حسين فقد اتخذ إجراء أخر فلم يقبل الخطاب بالمرة وتوجه بنفسه فى عصبية واضحة وثورة عارمة إلى برج العرب حيث يقيم عبد الناصر وقتذاك، وأعاد إليه الخطاب محتجا على صيغته وما ورد فيه. والواقع أن عبد الناصر كان على حق فى كل كلمة وردت فى خطابه، وإنما لم يكن على حق فى تعميمه على الجميع، ومنهم الغالبية التى لم ترتكب هذا الخطأ، وكان يمكن أن يرسله إلى وزير بعينه أو وزيرين أو ثلاثة من الذين بالغوا فى تصريحاتهم مبالغات شديدة حول ما تم من إنجازات ومشاريع، وكان منهم وزير البترول الذى كان يدلى بتصريح شبه يومى عن اكتشاف بئر جديدة للبترول. بحيث لو صحت هذه التصريحات وقدرت التقدير الصحيح لأصبحنا دولة من الدول المصدرة للبترول. ولكننا نحن لم نكن كذلك. وكانت هذه التصريحات مخالفة للواقع من الألف للياء وتكلم عليها الشعب فى مجالسة وندواته. . . ويبدو أن ذلك أثار حفيظة عبد الناصر، ولكن كان يكفى أن يلفت نظر هذا الوزير المسئول إلى الخطأ الذى وقع فيه وينتهى هذا الموضوع، على أية حال كان الخطاب بالنسبة لبغدادى بداية العد التنازلى لبقائه فى الحكم. .

حاكمت ناسا لأنهم لم يقولوا للملك لا. واخشى أن

يأتى من يحكامنى لأننى لم أقل لعبد الناصر لا

كان عام ١٩٦١ الذى صدر فيه خطاب عبد الناصر عاماً حافلاً بالأحداث الجسام عربية كانت أو افريقية أو دولية. . قتل الزعيم لومومبا وتأزمت مفاوضات الجلاء بين فرنسا والجزائر، ونزلت القوات البريطانية فى الكويت عندما هدد عبد الكريم قاسم حاكم العراق بضم الكويت إلى العراق، وقامت حركة الانفصال. انفصال مصر عن سوريا ونهاية تجربة أول وحدة حديثة، وعقد مؤتمر قمة أفريقى في القاهرة ومؤتمر قمة لدول عدم الانحياز فى بلجراد حضره عبد الناصر، وتوالى على مصر قادة أفريقيا وآسيا وهما القارتان اللتان يضمان معظم دول عدم الانحياز وفى مقدمتهم جوزيف بروزتيتو رئيس يوغسلافيا وجواهر لال نهرو رئيس وزراء الهند وسوكاونو رئيس أندونسيا المؤسسون لمبدأ عدم الانحياز. وكان لكل هذه الأحداث أثر على مصر وسياستها حيث تدهورت علاقات مصر مع الكونغو بسبب ما تعرض له لومومبا من تعذيب، وبسبب اتهام مصر بإرسال مساعدات لأتصار لومومبا. وفيما يختص بأزمة الجزائر مع فرنسا أعلن عبد الناصر تأييده للجزائر مادياً ومعنويا وبدون قيد أو شرط، وأخذ على ذلك موافقة مؤتمر شعوب أفريقيا الذى عقد فى القاهرة آنذاك على تأييد الجزائر فى كفاحها ضد فرنسا، وموافقتهم أيضاً على أن إسرائيل أداة للاستعمار وتحريم استخدام الأسلحة الذرية، وإبعاد إفريقيا عن الحرب الباردة التى كانت مشتعلة بين القوتين الأعظم. ففى أعقاب إعلان عبد الكريم قاسم ضم الكويت إلى العراق أعلن عبد الناصر على الفور استنكاره لهذا القرار وطالب بحل القضية على هدى من إرادة الشعوب، وليس طبقا لما تنطق به وثائق الإمبراطورية العثمانية، ولما تهور قاسم وأرسل قواته على حدود العراق المواجهة للكويت تحت ستار القيام بمناورات بالذخيرة الحية اتجهت القوات الكويتية إلى الحدود الشمالية لمواجهة حشود القوات العراقية ولم ينه أزمة الكويت إلا البيان الخطير الذى أصدرته الجمهورية العربية المتحدة والذى طلبت فيه من الشعب العراقى ومن كل مسئول يشارك هذه اللحظات من قريب أو بعيد أن يضع فى

اعتباره قبل أى قرار أن مصير الأمة العربية يعلو على أى مجد شخصى وعلى أى مطمع إقليمى وعلى أى معاهدة أو وثيقة قديمة. وعلى أثر البيان دعت الكويت مجلس الأمن للاجتماع للنظر فى تهديدات قاسم، وطلبت مصر من ممثلها فى الأمم المتحدة وقتذاك أن يطالب بجلاء القوات البريطانية فورا عن الكويت جلاء تاما، ويعلن موافقة مصر على ضم الكويت إلى الأمم المتحدة بعد جلاء القوات البريطانية عنها. ويؤكد ماجاء فى البيان الرسمى الذى صدر أن استمرار الحشود البريطانية فى الكويت يهدد الأمن العربى كله، وقدمت مصر إلى مجلس الأمن مشروعا اقترحت فيه حل أزمة الكويت بالوسائل السلمية وانسحاب القوات البريطانية من الكويت فوراً، ولما اعترضت بريطانيا على المشروع العربى أعلنت روسيا رفضها للمشروع البريطانى واستخدمت حقها فى الفيتو لوقفه، وكادت هذه الأزمة أن تطيح بجامعة الدول العربية عندما عارضت العراق انضمام الكويت إليها وهدد مندوبها أى مندوب العراق بالانسحاب من الجامعة وفى مؤتمر الدول غير المنحازة الذى عقد فى بلجراد دافع عبد الناصر عن الجزائر وعن فلسطين وأعلن أن احتمالات السلام تزداد تعرضا للخطر والعواصف تطفىء شموع الأمل أمامنا واحدة بعد واحدة، وطالب بضرورة اجتماع أقطاب العالم فى أسرع وقت لإنهاء تلك العواصف والصراعات، وأكد أن دول عدم الانحياز ينبغى ألا تكون بنشاطها كتلة ثالثة فى العالم، وأن تكون المبادىء هى الإطار لتحرك هذه الدول، ولم تكن مصر تعلم أن القدر يخبىء لها أمراً لايمكن إلا أن يكون نتيجة لنشاطها السياسى هذا ودفاعها عن دول العالم الثالث ووقوفها فى وجه مؤامرات القوتين الأعظم. إذ تآمرت عليها هاتان القوتان وأصابت كبرياءها فى الصميم فكان التمرد الخائن فى دمشق ضدها الذى احتل الإذاعة والقيادة العامة، وأعلن انفصال سوريا عن مصر وإنهاء الوحدة بينهما وعرض عبد الناصر تفاصيل المؤامرة على مؤتمر شعبى عام ولم يكن أمامه سوى الارتفاع عن هذه الأزمة والإعداد للمستقبل.

وفى ظل هذه الأحداث الفجائية والدرامانيكية والمأساوية بعث عبد الناصر بخطابه إلى الوزراء الذى يطالبهم فيه بالحد من تصريحاتهم، والذى كان سبباً فى أن قدم عبد اللطيف بغدادى استقالته. والواقع أن عبد الناصر أخطأ فى ذلك. فكان يكفى إرسال هذا الخطاب

إلى الوزير أو الوزيرين اللذين أغرقا فى الإدلاء بتصريحات غير منطقية. بل لم يكن عبد الناصر فى حاجة إلى مثل هذا الخطاب. فالرقابة على الصحف والإذاعة كانت مفروضة وكانت تمارس سلطاتها بشكل رهيب تمنع كل الأنباء المطلوب منع نشرها، بل كانت كثيراً ما ترسل تعليماتها إلى الصحف بمنع نشر أنباء الوزير الفلانى أو تقليل النشر من أنباء وزير آخر وكانت الصحف تلتزم بهذه التعليمات حرفياً، وكانت الإذاعة لها دور مشهود فى هذا الشأن إذ كانت كل أخبارها تعرض على الرقابة تجيز منها ما تجيز وتمنع ما تمنعه. وإذا رأت الرقابة فيما أذيع بعد ذلك ما يمنع أصدرت توجيهاتها بتنفيذ هذا الرأى، وكان كل ذلك بمثابة تنبيه للصحف للالتزام بما تريده الرقابة وكان من يخالف ذلك يتعرض للمساءلة وربما للرفت، وعلى أساس ذلك لم يكن عبد الناصر فى حاجة إلى إرسال هذا الخطاب الذى كان بداية الخلاف بينه وبين بغدادى، وبداية للخلاف بينه وبين كل العسكريين وعدد من المدنيين الذين آلمهم هذا الإجراء. . . على أية حال لزم عبد اللطيف بغدادى منزله بعد أن أرسل خطاب استقالته لعبد الناصر ومر يوم أو يومان أو ثلاثة، وفوجئنا نحن الصحفيين ومندوبى الاذاعة والوكالات أن عبد الناصر قام بزيارة بغدادى فى منزله، وعلمنا أن نتيجة هذه الزيارة كانت إنهاء الأزمة بينه وبين بغدادى، وتقصينا الأنباء فعلمنا أن عبد الناصر قام بزيارة بغدادى وأنهى الأزمة عندما نقل إليه أن هناك كلاما يتردد بين أفراد القوات المسلحة على جانب كبير من الأهمية والخطورة منسوب إلى بغدادى يقول: «إنى حاكمت ناسا لأنهم لم يقولوا للملك لا وأخشى أن يأتى من يحكامنى لأننى لم أقل لعبد الناصر لا»، ولم يفوت عبد الناصر لبغدادى هذا الأمر، ومرت الأيام وإذا بنا نفاجأ بتسريح ضباط الطيران، وبالذات دفعة بغدادى الذين تخرجوا معه وحرنا فى تفسير هذا القرار وكنا نتساءل: هل هو لإنهاء نفوذ بغدادى فى القوات المسلحة؟ أم أن هذا الإجراء اتخذ على إثر مؤامرة قام بها سلاح الطيران على عبد الناصر واتهم فيها زملاء بغداى فى سلاح الطيران؟ لكن لم نصل إلى جواب فى هذا الوقت، ولكن الأيام أثبتت فيما بعد أن القرار اتخذ لقطع صلة بغدادى بالقوات المسلحة حتى لايصبح له قوة بين أفرادها تسانده فى أزماته مع عبد الناصر ، فقد ناقش مجلس الثورة فيما بعد الثورة فى اليمن، ولم يؤيد بغدادى وكمال الدين

حسين إرسال الجيش المصرى النظامى لتأييد الثورة هناك، وفضلا حرب العصابات تأييداً للثورة، ولم يخل النقاش من مشادة بين عبد الناصر من ناحية وبغدادى وكمال الدين حسين وغيرهم من أعضاء مجلس الثورة من ناحية أخرى، وظل عبد الناصر كاظما غيظه إلى أن اختار الوقت المناسب لقبول استقالة بغدادى وكمال الدين حسين، ولكن بعد أن مهد الأرضية لقبول هذه الاستقالات بحيث ألا تحدث صدى فى الرأى العام. وجاء هذا الوقت عندما قرر تعيين نائب أول له يتولى السلطة فى حالة وفاته أو عجزه أو عدم قدرته على العمل حسب ما جاء فى الدستور، وكانت الأصابع تشير إلى بغدادى على أساس أنه أقدم أعضاء مجلس الثورة فى الرتبة العسكرية، وكانت هذه الأقدمية فى مثل هذه الحالات ملزمة حتى وفاة عبد الناصر ولكنه. أى عبد الناصر شاء أن يكون عبد الحكيم عامر هو النائب الأول بوصفه المسئول عن القوات المسلحة، وأصدر قرارا بذلك، وكان هذا القرار نهاية الحياة بغدادى السياسية وتخليه عن حمل الأمانة مع عبد الناصر، وظل متمسكا بالتقاليد الأصيلة والعادات الرفيعة والمواثيق الموضوعة لاتباعها فى مثل هذه الحالات إلى حين وفاة عبد الناصر فى سبتمبر عام ١٩٧٠.

عبد الناصر وهموم القضية الفلسطينية

كانت القضية الفلسطينية محور اهتمام ثورة يوليو منذ أن أنطلقت شرارتها الأولى. وكان لأعضاء مجلس ثورتها رأيان فى مواجهتها. الأول عدم إثارة غضب إسرائيل والتفرغ أولا لبناء مصر القوية القادرة على الدفاع عن هذه القضية، ولكن إسرائيل لم تمهل أعضاء مجلس الثورة لتنفيذ هذا الرأى وبدأت بالعدوان، وكان عبد اللطيف البغدادى المتحمس الأول لهذا الرأى. والثانى: مواجهة العالم على الفور بالقضية والسعى للحصول على تأييد تلك الحقوق وإجبار إسرائيل على تنفيذها بالضغط الدولى المكثف عليها، وكان عبد الناصر المتحمس الأول لهذا الرأى. وأيا كان الأمر بين أعضاء مجلس الثورة فإن إسرائيل لم تمهلهم لتبادل الرأى حيث كررت اعتداءاتها على الأراضى المصرية التى بلغت وحشية بالغة بسبب قصور السلاح المصرى فى مواجهة السلاح الإسرائيلى المتطور، ولكن عبد الناصر رغم هذا التصور لم يكن يترك ثأر مصر فكل عدوان كانت تقوم به إسرائيل كان يرد عليه بعدوان مماثل وربما أشد منه. فقد سألناه مرة وكانت إسرائيل قد قامت بعدوان وحشى على الصبحة فضحك وقال سننتقم قريبا. وفى إحصائية إذيعت أن إسرائيل اعتدت على مصر ١١٢ مره خلال ثمانى سنوات وكان طبيعيا أن يسد عبد الناصر النقص فى سلاح الجيش. خاصة بعد أن حملت الأنباء أن إسرائيل عقدت صفقة سلاح مع فرنسا تعزز بها قواتها المسلحة. فاندفع يبحث عن السلاح، ولما رفض الغرب تزويده به لجأ إلى الشرق وكانت صفقة السلاح التشيكية التى أثارت حفيظة الغرب عليه عام ١٩٥٥ وقرر الغرب منذ هذه اللحظة التخطيط لعزل عبد الناصر أو إبعاده. ولم يترك عبد الناصر غضب الغرب لعقد هذه الصفقة، وإنما كان يفضحه بتصريحات تثير حفيظته أكثر، وتؤكد شخصية مصر المستقلة فى المجال الدولى وتفضح أسطورة التوازن توازن القوى فى الشرق الأوسط التى كان يتحدث عنها الاستعماريون الغربيون، وكان ينذر إسرائيل بين حين وحين بأنها إذا لم تتوقف عن العدوان فإنه سيعلنها حربا شاملة، ولايمكن لإسرائيل أن تتحكم فى قرارنا أو تفرض علينا إرادتها، وكان دائما يضيف مبدأ يؤمن به بعد كل إنذار: «سنسالم ونعادى من يعادينا وسنحصل على السلاح من أى مكان وبأى كمية نشاء ولن يسيطر علينا

أحد» وكان الغرب كلمـا أراد الضغط على عبد الناصر يجر إسـرائيل على العدوان عليه. فعل ذلك فى معركـة الاحلاف التى رفض فيها عبد الناصر عـقد حلف معهم، وأعلن لا أحلاف تحمى الأمة العربية سوى الأمة العربية فـعل ذلك فى معركة احتكارالسلاح ومعركة تمويل السد العالى ومعركة الحـصار الاقتصادى. وللحقيقة والتاريخ فـقد تحمل عبد الناصر فى سبيل القضية الفلسطينية الكثيـر. فقد خاض حربين. هما العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ وحرب عام ١٩٦٧ وقاد حـرب الاستنزاف انتقاما لهـزيمته فى ٦٧ واستـعداداً لرد الكرامة العربية فى حرب قادمة، ونحن لانجاوز الحقيـقة أو نبالغ لو قلنا إن سياسة عبد الناصر هى التى أدت إلى تآمـر الشرق والغـرب عليه على السـواء وإلا فمـا معنى أن يـزوره السفـير الأمـريكى ومن بعده السفير السوفـيتى ليلة عدوان عام ١٩٦٧ ويطلب كل منهما ألا يكون البادىء بالـعدوان. وفى صبـاح ذات اليوم تقـوم إسرائيل بالعـدوان وتدمر مـعظم سلاح الطيران المصرى الذى نفذ أوامر عدم البدء بالعدوان.

والواقع أن عبد الناصر بجانب سباق التسليح الذى فرض عليه بسبب اعتداءات إسرائيل المتكررة سعى أيـضا لحل القضـية الفلسطينيـة سياسـيا ودوليا. فكـان فى كل مؤتمر دولى يحضره يطلب من المجتمعين تأييد الحقوق الفلسطينية المشروعة. وكان لايخلو الأمر من أن يجرى نقـاش حاد بينه وبين رئيس دولة تحـضر المؤتمر يريد أن يتـراخى فى تأييد الحـقوق الفلسطينيـة. فقد حـدث أن كان مؤتمر دول عـدم الانحياز يعـقد اجـتماعـات فى بلجراد العاصمة اليوغسلافية عام ١٩٦٢ وفى أوائل شهر سبتمبر بالتحديد، وأعلن أن بيانا مشتركا للمؤتمر لم يتضـمن موافقتـه على القضية الفلسطينية، ولـكن عبد الناصر استـمر يحاجى المؤتمرين بالحجـة من صباح اليوم التـالى إلى أن وافق المؤتمر بالإجماع على تأييـد الحقوق الفلسطينية. ونحن مندوبى الصـحف والإذاعة لم نغادر قاعة اجتـماعات المؤتمر طوال هذه الليلة. وكان قد غادرها عدد من الرؤوساء بسبـب السفر، وكنا نسألهم فيؤكدون أن المؤتمر فى حوار ساخن. إلى أن انفض المؤتمر الساعة السابعة صباحـا وخرج عبد الناصر والتففنا حوله ووجه الحديث لى وطلب منى الحصول على البيـان المشترك من مكتب سامى شرف. وفعلاحصلت على البيـان وذهبت إلى المركز الصـحفى وطلبت القـاهرة تليفـونيا لأملى

الإذاعة البيـان. وبينما أنا فى كابينة التليفـون أملى البيان إذ بى أفاجـأ بالمرحوم على أمين يدفع على باب الكابينة فى عـصبيـة شديدة ويطلب منى التـوقف عن إرسال البـيان إذ إن البيان قد تغيـر. ولكنه لما قرأ البيان عرف أنه آخر بيان صادر عـن المؤتمر وقال لى: استمر لقد خفت عليك أن تذيع الإذاعة بيانا غير الـبيان المطلوب إذاعته، وشكرته وكانت الحادثة بداية علاقة طيـبة ربطتنى بالمرحوم على أمين، وزادت وتعمـقت عندما تزاملنا فى رحلات عمل قام بها عبد الناصـر فيما بعد إلى اليونان ويوغسلافيا وغيـرهما. فقد كان على أمين يشغل فى هذه الفـترة منصب رئيس تحرير ورئيس مجلس إدارة جـريدة الأهرام ولايفوتنى هنا واقعـة أخرى ما زالت ماثلة فـى ذهنى تماما برغم مرور أكثـر من ثلاثين عاما عليـها. فبينمـا كنت أتجول فى مقر المركـز فى بلجراد إذ بشاب يتقـدم لى بأدب جم يقول لى أنت مصـرى؟ فقلت له نعم قال لى إننى أحد الـفلسطنين المعذبين بسبب اضطهـاد إسرائيل لنا فأخذتنى الشهامـة ودعوته لتناول قهوة معى، ولكن أحد زملائى من الصـحفيين السوريين الذى كان عـضوا فى وفد الجمـهورية العربية المتـحدة للمؤتمر نبـهنى بأن هذا الشاب ليس فلسطينيا وإنما هو يهودى. ولكى تتأكد حاول أن ترفع سترة جـاكتته. سترى نجمة إسرائيل وفعـلا فعلت وشد ما كـانت دهشتى حينمـا علمت أنه يهودى، وأصبـحت فى موقف لا أحسد عليه. هل استمر معه وأشرب معه القهوة أم كيف أتصرف؟ وكانت العلاقات متوترة وممنوع علينا الاتصال بهؤلاء الصحفيين اليهود، وفعلا اعتذرت له اعتذاراً رقيقا ولم أشرب معه القهوة. واستكمالا لجهود عبد الناصـر لنصرة القضية الفلسطينية فلابد أن نسجل لعبد الناصر بالفخر أنه هو الذى وحد بين الفصائل الفلسطينية المتناحرة. وكان هذا التناحر نقطة ضعف فى القضية. فهو الذى أنشأ منظمـة التحرير الفلسطينية التى ضمت معظم الفصائل الفلسطينية، وهو الذى سمح لها أن تتخذ من القاهرة مقراً لنشاطها، وكان هذا نقطة تحول فى مسيرة القضية اللفسطينية حتى يومنا هذا.

خطط الغرب لاصطياد قواتنا المسلحة

لم تعجب الغرب سياسة عبد الناصر الفلسطينية. بل لم تعجبه ثورة يوليو كلها فآلى على نفسه تصفيتها عندما فشلت محاولاته لاحتوائها والسيطرة عليها، ولو على حساب الإمبراطورية البريطانية التى أخذت تغرب الشمس عنها.

وعندما صمم عبد الناصر على عدم الانحياز للشرق أو الغرب، قرر الغرب الإجهاز عليه وعلى ثورته، ومحاصرته اقتصاديا وأعلن عليه حرب التجويع، ولما فشل فى ذلك أعلن عليه الحرب المسلحة، وكان العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ الذى شاركت فيه بريطانيا وفرنسا مع إسرائيل بالتواطؤ مع الولايات المتحدة الأمريكية بعد أن كسر عبد الناصر احتكار السلاح وعقد صفقة السلاح التشيكية فى سبتمبر عام ١٩٥٥ ونجح فى تغطية تمويل مشروع السد العالى بعد سحب الغرب لعروضه ورسو المزاد على الاتحاد السوفيتى، وبدا أن تصميم الغرب على هدم عبد الناصر لن يتوقف إلا بعد الوصول إلى هدفه وتحقيقه. فكان هو صانع جميع النكسات التى أصابت ثورة يوليو، فهو الذى أجهض اشتراكية عبد الناصر حتى لاتثمر ويتبعها سائر زعماء منطقة الشرق الأوسط بهدف أن يركع عبد الناصر على قدميه عقابا له على معاداته للغرب، وكان إغلاق قناة السويس مرتين حتى تحرم الخزينة المصرية من هذا المورد الهام، وكان فصل الوحدة بين مصر وسوريا حتى لاتظهر عبد الناصر كداعية للوحدة العربية وهذا يرفع من قدره، وكانت حرب اليمن التى غذاها الغرب حتى تفلس الخزينة المصرية تحت وطأة نفقاتها الباهظة التى كانت تبلغ مليون جنيه يومياً، فعل الغرب كل هذا تنفيذاً لتخطيط وضع غداة قيام إسرائيل فى المنطقة عام ١٩٤٧، أساسه أن تظل إسرائيل أقوى دولة قادرة على ردع أية دولة أخرى فى زمن قياسى حتى لايتألب العالم ضدها، والتخطيط هذا لم يتغير منذ عام ١٩٤٧ حتى اليوم فى عام ١٩٩٠، فكما تألب الغرب على عبد الناصر خوفاً من قوته لصالح إسرائيل يتألب اليوم ضد العراق خوفاً من قوته على صالح إسرائيل، وسيستمر فى سياسته هذه منحازا لإسرائيل ضد العرب كما انحاز إليها منذ قيامها، فاعتدى على عبد الناصر ليفرض عليه

مرور السفن الإسرائيلية فى قناة السويس ويفرض عليه الصلح مع إسرائيل، ولكن عبد الناصر رفض واستمرت السفن الإسرائيلية ممنوعة من المرور فى قناة السويس، واستمرت إسرائيل كيانا شاذاً فى المنطقة كرأس جسر للاستعمار فيها، يبذل الغرب قصارى جهده لحمايتها من أى عدوان ويقويها لتصبح قوة إرهاب لم تسول له نفسه الاعتداء عليها.

ومن أجل حماية إسرائيل شارك الغرب معها فى عدوانها على مصر عام ١٩٥٦ ولم يكن هدف العدوان احتلال الأرض بقدر ما كان هدفه تدمير القوات المسلحة المصرية بأفرادها ومعداتها، واتخذ الغرب خط رجعة له عندما جعل الولايات المتحدة لاتشارك معه فى العدوان حتى إذا فشل تقوم هى بدور المخفف لهذا الفشل مع محاولة جر ثورة يوليو وعبد الناصر إلى حظيرتها والسيطرة عليها. بحيث لاتنمو قوتها العسكرية حتى لاتهدد إسرائيل، ولما فشل العدوان الثلاثى فى تحطيم القوات المسلحة المصرية قامت الولايات المتحدة بالدور المرسوم وتوددت لمصر الثورة، وكان قرارها بانسحاب القوات المعتدية من الأراضى المصرية، ولكن هذا التودد لم يأت ثماره مع عبد الناصر وعاد الغرب بالتواطؤ مع الولايات المتحدة إلى التخطيط من جديد لاصطياد القوات المسلحة المصرية مرة أخرى وتدميرها بعد أن أفشل عبد الناصر هذا المخطط خلال العدوان الثلاثى، وأعطى أوامره بانسحاب القوات المسلحة قبل محاصرتها منعا لتنفيذ مخطط الغرب المرسوم... وقد اتخذ عبد الناصر هذا القرار عندما دخلت الطائرات البريطانية الثقيلة النفاثة فى المعركة بدون علم المشير عبد الحكيم عامر القائد العام لهذا القوات. حتى أنه كان يشجع هذه القوات على الصمود فى المعركة فى حين تجرى عمليات الانسحاب منها، واعتبرت مصر ما حدث فى معركة بورسعيد نصرا مؤزرا لها، واعتبرته إسرائيل درسا مفيدا لمخططاتها ، وبدأت تعد العدة لمحاصرة مصر - عبد الناصر من جديد بعد العدوان، لتمنع نمو قواتها المسلحة. خاصة سلاح الطيران الذى لو كان موجودا فى معركة بورسعيد لما قدر لإسرائيل احتلال الأرض وتنفيذ مخطط تدمير القوات المسلحة المصرية - مع التفكير فى كيفية حصار مصر اقتصاديا حتى لاتنمو اشتراكيتها وتثمر، فكان بناؤها لخط أنابيب بين إيلات والبحر الأبيض المتوسط ليكون بديلا لقناة السويس لنقل بترول إيران الذى كان شاهداً على خلاف دائم مع

عبد الناصر، ورأت إسرائيل استثمار هذا الخلاف فى حصار عبد الناصر، فوثقت علاقاتها مع إيران وغيرها من الدول الصغيرة كتركيا وأثيوبيا. لا للدخول فى حلف مع هذه الدول علنا ـ كما تكشف فيما بعد من وثائق البيت الأبيض التى أشار إليها محمد حسنين هيكل فى كتابه «١٩٦٧ الانفجار» وإنما فى إطار تحالف غير معلن ليكون سدا أمام طوفان الناصرية المتحالفة مع الاتحاد السوفيتى. كما كان يمكن استخدامه فى وقت من الأوقات للحد من مطامع عبد الناصر وإحباط خططه. بل يمكنه فى وقت من الأوقات استخدامه فى تصفيته الناصرية عندما تسمح بذلك الظروف، وهذا الحلف فى تكوينه لايختلف عن حلف بغداد الذى عارضه عبد الناصر ومنع قيامه، ولكن فى هذا الحلف ـ الذى لم يبد أن إسرائيل والغرب لم يتخليا عنه حتى يومنا هذا ١٩٩٠ أى بعد ما يقرب من ٣٤ عاما تفكيراً ذكيا، فتركيا باشتراكها فى الحلف يمكن أن تكون رادعاً لسوريا، وإيران رادعاً للعراق، وإثيوبيا رادعاً لدول القرن الإفريقى المؤيدة للناصرية، ومما يثبت أن هذا الحلف ما زال قائما المساعدات التى قدمتها إسرائيل لإيران فى حربها الأخيرة مع العراق، وتواطؤ الولايات المتحدة فى هذه المساعدات الذى كادت أن تطيح بحكم ريجان فى الولايات المتحدة، ومعارضة إسرائيل الحالية لازدياد النمو المسلح للقوات العراقية وتهديدها لسوريا كلما حصلت على ما يدعم قواتها المسلحة من الطائرات والصواريخ وغيرها، ومما يثبت أن هذا الحلف ما زال قائما ما أثير فى الفترة الأخيرة من التعاون الوثيق القائم بين إسرائيل وإثيوبيا بهدف بناء سد على فرع النيل الأزرق النابع من إثيوبيا للتحكم فى المياه الواردة لمصر والسودان. وما أشيع عن وجود اتفاقات أخرى عقدت بين إسرائيل وإثيوبيا تهدف إلى منع تحويل البحر الأحمر إلى بحيرة عربية وأنها تمد أثيوبيا بالخبراء والسلاح لتحقيق هذا الهدف ـ أى أن الحلف الذى أقيم لمحاصرة ثورة يوليو بعودته عام ١٩٥٦ هو نفسه الموجود اليوم، ولكن لما فشل هذا الحلف فى تدمير عبد الناصر وثورته عادت إسرائيل بمعاونة الغرب إلى التخطيط للعدوان على مصر وتدمير قواتها المسلحة منفردة هذه المرة. لعلها تنجح فى تدمير عبد الناصر وثورته، ويزول الكابوس الذى يقلقها ليل نهار. أما متى خططت إسرائيل لهذا العدوان وكيف؟ فلذلك قصة أخرى.

متى خططت إسرائيل لعدوان ١٩٦٧؟

لم يكن موشى ديان ـ أشهر رجل عسكرى عـلى حق عندما قال إن المصريين لايقرأون «مـشيــرا» إلى أن خطة إســرائيل لعدوان عــام ١٩٦٧ قد نشـرت بالكامل والتـفصـيل فى الصـحف، ذلك لأن المصريين يقـرأون ويهتـمون بكل مــا ينشر عن إسـرائيل. لأن ذلك شاغلهم الوحيد ومهمتهم الأساسية والجوهرية، والحقيقة أن رجالنا السياسيين والعسكريين وغيرهم قــد تدارسوا ما نشرته الصحف عن خطة إســرائيل، ولكنهم خافوا أن يكون ذلك فخا لهم نصــبته إسرائيل، ولذلك تصــرفوا على أن ما نشر ربما يكون الخطة الـفعلية وربما يكون تمويها، ولكن الذى فــات موشى ديان أن ما نشـر فى الصحف والذى يشيـر إليه لم يكن تخطيطا إسرائيليا خالصا، وإنما كــان تخطيطا إسرائيلياً ـ بريطانيا تحت رعاية الولايات المتحدة، ولما عرض على فرنسا لم توافق علـيه، وإن إسرائيل خططت للعدوان على مصر عـقب جلائها عن بورسعـيد عام ١٩٥٦، إذ أن إسرائيل لم تنجح فى تحقيـق هدفها الذى تسعى إليـه فى كل عدوان تقوم به، وهو تدمـير القوات المسلحـة المصرية بالكامل. إذ إن تنامى هذه القوات مـصدر قلق وإزعاج لها، فهــى وحدها القادرة على منعهــا من احتلال الأرض بالقــوة وتنفيــذ مخططاتهــا الاستـعمــارية الاستـفزازية الاسـتيطانيـة فى الأراضى الفلسطينية، والاســتيلاء عليهــا، وتوطين اليهود المهــاجرين إليها بين ربوعــها، ولذلك لو دققنا فى عدوانات إســرائيل على الأراضى العربية نجد أنهــا تبدأ محاولة غــزو مصر، وأن الفترة الزمنية بين كل عدوان وعدوان هــى سنوات لاتتجاوز الإحدى عشرة سنة فى الأعم الأغلب، فحــربها الأولى كانت عام ١٩٤٨ والثــانية كانت عام ١٩٥٦، والثــالثة كانت عام ١٩٦٧ وأخيراً كان نصــر أكتوبر عام ١٩٧٣، والفترة الزمنيــة بين كل عدوان وعدوان هى فترة تطول وتقصر حسبما تكون إسرائيــل على استعداد لخوض الحرب ومتأكدة من نصرها فيهــا، وبعد أن تربط مع سائر القوى فى العــالم وليس الولايات المتحدة وحدها المتـعهدة بحمايتهــا والدفاع عنها ضد أى عدوان، وإنما مع سائر القــوى الأخرى لتضمن على الأقل تحييدها وعدم دخولها فى هذه الحرب، وقــد أكد هذا المبدأ محمد حسنين هيكل وهو يذيع أسرار نكســة يونيو سنة ١٩٦٧ من واقع الوثائق. حيث إن كل القوى فى إســرائيل وافقت

على الدخـول فى الحرب عندمـا تأكد الجـميع من عـسكريين وسيـاسيـيين. أن التـدخل السوفيتى مستبعد أو عندمـا حصلوا على تعهد بذلك، وأما الولايات المتحدة فمن واقع ما نشره محمد حسنين هيكل فى كتابه الانفجار ١٩٦٧ يؤكد أن الولايات المتحدة أعدت لهذا العدوان مع إسرائيل وباركـته حتى أن الرئيس الأمريكى جونسـون آنذاك أعلن عن سعادته إذا بدأت إسرائيل الخطوة الأولى فى هذه الحرب.

على أن ما أريد توضيحه أن التخطيط الإسرائيلى ـ الإنجليزى للعدوان على مصر كانت تفاصـيله موجودة لدى صانعـى القرار قبل ما تشـير إليه الصـحف الذى اتهم موشى ديان بسببـها المصريين بأنهم لم يقرءوها، فـقد أرسلت تفاصيل هذه الخطة إلى وزارة الخـارجية المصرية مـن سائر العواصم الهـامة فى العـالم... لندن ... واشنطن ... باريس ... بيروت وغيرها، وقـد كنت شاهد عيان على ذلك ، ففى شهـر يوليو من عام ١٩٦٤ أى قبل العدوان بحوالى ثلاث سنوات أرسلت برقيـة بالشفرة من بيروت إلى القاهرة تقول إن هناك مخططا إنجليـزيا أمريكيا يعد للمنطقة. وهذا المخطط وضع بـعلم إسرائيل لأنها هى محـور هذا المخطط، وقد عـرضت إنجلترا وأمـريكا المخطط المذكور عـلى فرنسا ولكـنها رفضـته وقامت بإبلاغه إلى الـبابا بولس السادس الذى أبلغـه بدوره إلى البطريرك المعوش الذى أبلغه بدوره إلى الحكـومة اللبنانية، ويهـدف المخطط أولا: تقوم إسرائيل باعـتداءات على الحدود بينها وبين البلاد العربية وأن تكون هذه الاعتداءات واسعة النطاق على إحدى الدول العربية ـ ولتكن سوريا ـ وتتوغل القوات الإسرائيلية فى أراضـيها بسرعة حتى تحتلها تماما ثم تبدأ المساومات، وهذه المساومات تكون على النحو التالى : إعطاء جزء من سوريا إلى تركيا وجزء إلى لبنان على أن يتنازل لبنان عن صيدا وصور إلى إسرائيل. ثانيا: تعاون إنجلترا إسـرائيل بالسلاح والعتاد تحت إشـراف الولايات المتحدة من غيـر دخول ظاهر فى المخطط من جانـب أمريكا. بحيث إذا فـشل المخطط تكون هى حلقة الوصـل بين العرب وإسرائيل لإصلاح الموقف الذى يكون قد أفسده الاعـتداء الإسرائيلى ـ العسكرى.. وبعد أيام وافت بيروت القاهرة بأهداف أخـرى لهذا المخطط. ففضلا عن أنه يهـدف إلى تدمير القوات المسلحـة المصرية عن آخرها. فإن النيـة منعقدة إلى تقـسيم المنطقة بحيث يتـجمع

المسلمون على بعضهم. والاكراد والدروز كل على حدة فى دولة مستقلة، وأن يصبح لبنان وطنا مسيحياً ليعطى شرعية لقيام إسرائيل كوطن لليهود، ومن بين المعلومات التى وصلت القاهرة من بيروت أن الحديث قد تجدد عن فصل جبل لبنان عن الجنوب والشمال، وهما المنطقتان المسلمتان واتخاذ جونية عاصمة للوطن المسيحى بدلامن بيروت، وقد أعدت لأن تكون ميناء على البحر الأبيض وعاصمة للوطن المسيحى مجهزة بكل ما يلزم العاصمة، كما تجدد الشعور عند المسيحيين بأن لبنان وطن قومى مسيحى أولا، ثم وطن عربى ثانيا، وهناك ما يؤكد أن جميع الأديرة فى بيروت قد اتخذت كمخزن للسلاح استعداداً للمستقبل. وقد لوحظ فى الفترة الأخيرة أن جميع المتقدمين إلى القرعة العسكرية يختار منهم أكثر من ٧٠٪ مسيحيين، وذلك كخطوة للتغلب على الحقيقة التى تقول إن معظم الجيش العامل فى لبنان مسلمون، وأن هذا يهدد العمل من أجل الوطن القومى المسيحى المنشود. كما أن هناك كلاما يتردد قد يكون مبالغا فيه، وهو أن فؤاد شهاب يعمل من أجل هذا الوطن. وأن الدليل على ذلك أنه رضخ لطلب المجلس المحلى ولم يحضر مؤتمر القمة العربى الذى عقد فى القاهرة وقتذاك، وأن العمل على تجديد فترة ولايته إنما القصد منها التمكين لقيام الوطن المسيحى المنشود . . . إننا نكشف كل هذه الأسرار لنדلل لموشى ديان أن المصريين لديهم كل المعلومات السرية وغير السرية، والخطط العدوانية والخطط السياسية، وأن قوله أن المصريين لايقرأون لاأساس له من الصحة، ونريد أن نبين لهذه الأسرار أن ما يذاع اليوم عن تقسم المنطقة إلى دويلات لاتقوى على مواجهة إسرائيل مخطط له من سنوات طويلة، ولربما مخطط له ضمن المخطط الإسرائيلى الاستيطانى الذى يقال، وأنه موضوع فى السنوات الأولى لهذا القرن، وقد يكون هناك مخطط آخر لم نضع أيدينا على خيوطه. فالسياسة متقلبة والآراء متغيرة والمخططات متقلبة والآراء متغيرة، والمخططات تتشكل وتتنوع طبقا للظروف والملابسات وطبقا لصالح إسرائيل وليس لصالح العرب. فكل العدوانات على الأمة العربية كانت من أجل تأمين إسرائيل، وليس من أجل تأمين الفلسطينيين المطرودين، وكل عدوان من هذه العدوانات وصل إلى حد المؤامرة، ولكن المؤامرة الكبرى كانت فى عدوان عام ١٩٦٧، وهذا ما سنعرض له بالتفصيل فيما بعد.

فى صباح يوم الاثنين ٥ يونيو ١٩٦٧ وبالتحديد فى الساعة التاسعة صباحا تلقى المسئول عن قسم الأخبار فى الإذاعة مكاملة تليفونية مقتضبه جدا تطلب منه صياغة نبأ يذاع عن عدوان إسرائيلى فورا، ولم يمله المسئول الخبر، وكنت قد وصلت مكتبى بالإذاعة فى تلك اللحظة، واتصل بى المسئول تليفونيا وهو فى قمة الانزعاج والارتباك عندما قلت له. . . اترك لى هذا الأمر وما عليك إلا أن تجمع ما جاء على وكالات الأنباء من أنباء عن هذا العدوان. إضافة إلى الحصول على ما أذاعته إسرائيل من قسم الاستماع السياسى واترك لى ما بقى من أمر، وبحكم خبرتى الطويلة فى مثل هذه الأزمات، اتصلت على الفور بالمسئول عن التنسيق وطلبت منه ضم الموجات وإذاعة مارشات عسكرية لأننا سنذيع خبرا عن عدوان إسرائيلى على مصر. وانزعج هو الآخر فقلت له: لعلك منزعج لأن مثل هذه الطلبات لايمكن أن تقوم بتنفيذها إلا إذا صدرت إليك من وزير الإعلام أو مدير الإذاعة بأشخاصهم، ولكننا فى موقف استثنائى، وإذا شئت الحصول إقرار منى بذلك فأنا على استعداد . . . وأجابنى بأنه سينفذ على الفور وإذا تعرض لأية مسئولية سيقر بأننى المسئول الأول، وافقت على طلبه وتم ضم الموجات وأذيعت المارشات العسكرية، ولما انتهيت من هذا الأمر تفرغت مع الزملاء لصياغة الخبر، وصغنا نبأ مختصرا جدا ليس به تفاصيل العدوان. وكانت فى حوزتنا. ولكن فضلنا أن نعلن أولا عن العدوان إلى أن تصل إلينا التفاصيل من وجهة نظرنا نحن، فالتفاصيل التى كانت فى حوزتنا كان مصدرها إذاعة إسرائيل ووكالات الأنباء الغربية، وأخذت الإذاعة تكرر هذا النبأ لمدة نصف ساعة على فترات تتخللها المارشات العسكرية إلى أن جاءتنا تفاصيل العدوان بصفة رسمية واستقام الأمر، من هذه الصورة أدركت أن هناك ربكة فى دوائر القيادة العامة للقوات المسلحة ووزير الإعلام ووزارة الخارجية بمقارنتها بالصورة الأولى لعدوان عام ١٩٥٦ وكنت أيضاً فى موقع المسئولية الإعلامية، وبإذاعة هذه التفاصيل التى تقول بأننا أسقطنا للعدو عدة طائرات فى زهو وكبرياء ولم تكن هناك طائرات للعدو وإنما هى تنكات بنزين إضافية كانت الطائرات الإسرائيلية تتخلص منها عند فرارها تخفيفا لحمولتها، وبهدف إعطائها

حرية الحركة كاملة، ولم نذع بالطبع تدمير سلاح طيراننا بالكامل وأن قواتنا المسلحة تواجه العدو وهى مكشوفة بغير غطاء يحميها من غارات الطائرات الإسرائيلية، ولم نذع فى اليوم الأول أن المعركة انتهت بعد ست ساعات من بدايتها، وأن قواتنا أخذت فى الانسحاب دون ترتيب أو تخطيط، ولم يبق سوى جيوش باسلة حاربت معركة شرسة مع العدو المتفوق فى سلاح الطيران وسلاح المشاه والمدفعية، وكانت فى الشوارع فرحة عارمة بانتصارنا، وفى حقيقة الأمر كانت هناك هزيمة فادحة طبقا لما تناقلته وكالات الأنباء ولم نستطع إذاعة شىء منها. حيث كنا ملتزمين بإذاعة ما يملى علينا، وكان كله مخالفا للحقيقة المرة المؤلمة، وبالطبع كان شغلنا الشاغل كإعلاميين ـ كيف سنطلع الشعب على الحقيقة عندما تنكشف الأمور جلية واضحة بحيث لايمكن إخفاؤها بعد أن أخذت الإذاعات الأخرى تذيعها ويستمع الشعب إليها، على أية حال لم يكن هناك بد من إطلاع الشعب عليها جرعة جرعة حتى لايصدم، ويرتكب حماقات كرد فعل للهزيمة تزيد من حرج الموقف وسوئه وتحمل القيادة السياسية والقيادة العسكرية ما لم تستطع تحمله، وتصبح الهزيمة هزيمتين عسكرية ومعنوية وهو ما لايمكن علاجه، وأمضينا يوما كئيبا سيئاً فت فى عضدنا وشل حركتنا ، وجاء الليل بظلامه الدامس فالأنوار كلها مطفأة ما عدا بصيص من نور أزرق رتبه الدفاع المدنى لحماية المدينة من العدوان والتدمير، واكتملت الصوره السيئة بالنسبة لى حيث لم يكن مسموحا لأحد أن يتحرك فى هذه الليلة المشئومة إلا الحاصل على تصريح يسمح له بالتجول، وكنت وكل زملائى نحمل هذا التصاريح، وغادرنا مبنى الإذاعة والتلفزيون فى حوالى الساعة الثانية صباحا ، المواصلات كلها مقطوعة وكان هناك زملاء لايملكون سيارة توصلهم إلى منازلهم، وأمام المبنى وقفنا نرتب هذا الوصول وننظمه بحيث تستوعب سيارات البعض القليل سائر الزملاء ، وقسمناها إلى خطوط تحمل السيارة كل من هو على الخط الذى ستسير عليه، وكان نصيبى خط الجيزة وإمبابة وأنا أشق طريقى إلى إمبابة وعند الكوبرى أصر مسئول الدفاع المدنى أن نطفىء نور السيارة تماماً وعبثا حاولت معه أن أترك النور مضيئاً فكنت قد طليت كشافاتى باللون الأزرق المطلوب ولكنه لم ينفذ رغبتى، وأطفأت الأنوار مجبرا، وأنا أجتاز الكوبرى

اصطدمت السيارة بعمود النور وتهشمت تماما وأصبنا جميعا برضوض وكسور. بعضها كان حادا منع أصحابهـا من الحركة والبعض الآخر كان خفيفا يساعد على الحركة وتعاونا جميعا لمواجهة الموقف السيء وتركنا العربة لأنها لم تستطع الحركة وأكملنا طريقنا مشيا على الأقدام ومنا من وصل منزله مع خيوط نور الصباح. وكانت تلك ضريبة دفعناها من صحتنا وراحتنا لتكتمل الصورة المأساوية التى عشناها فى هذا اليوم المشئوم.

لم أنم سوى ساعتين فكان على أن أعود لعملى الإخبارى فى الإذاعة فى الصباح الباكر فى اليوم التالى ليوم ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ وأنا فى طريقى كنت أشهد الوجوم واليأس على وجوه القادمين والرائحين من شعبنا العريق صاحب الحضارة العريقة التى تمتد فى عمر الزمن اكثر من سبعة آلاف سنة. فالكل أدرك حجم الهزيمة، وتفكيره منصب كيف سنمسح هذه الهزيمة من سجل تاريخنا الحافل، ،أنا بدورى استرجعت كل المؤامرات التى حيكت ضدنا والتى استهدفت فى المقام الأول استنزاف طاقاتنا وتطويع إرادتنا لتقبل كل ما هو مخطط لنا. ، وقد عاصرت معظم المؤامرات السياسية والعسكرية علينا، وكنت فى ثلاث منها فى موقع المسئولية. وبالمقارنة أدركت أن عدوان ٥ يونيو هو مؤامرة كبرى علينا خطط لها أعداؤنا من زمن طويل. كانت البداية فى الأربعينيات. حيث كانت معركة فلسطين فى عام ١٩٤٨ والتى استطاعت إسرائيل تحقيق أطماعها فى خلق دولة لها هى جسر للعدوان علينا. وبكل المقاييس والموازين هى بداية لمؤامرات أخرى، نجح بعضها وفشل البعض الآخر والبقية تأتى، فقد انتصر فى معركة فلسطين وانتصر فى يونيو عام ١٩٦٧ وارتد عدوانه علينا فى الخمسينيات فى معركة السويس وفى السبعينيات فى حرب أكتوبر عام ١٩٧٣، ولم يتوقف العدوان علينا إلا بعد أن حقق جميع أهدافه العدوانية الاستفزازية الاستيطانية وما زال فى جعبته الكثير، ولكننا سنقف له بالمرصاد ندمر أهدافه ونصد عدوانه إلى أن يعترف بحقوقنا كاملة. ولكن قبل أن ندخل فى تفاصيل هزيمتنا فى يونيو عام ١٩٦٧ وأسبابها وتحديد المسئوليات فيها لابد أن نعترف بأننا لم نستفد من دروس معركة السويس، ولو استفدنا منها ما كانت هزيمة يونيو، ولما استفدنا من دروس الهزيمة انتصرنا فى أكتوبر عام ١٩٧٣، ودروس معركة السويس التى لم نستفد منها كانت: لكى

نقهر عدونا لابد لنا من سلاح طيران قوى يحمى قواتنا المسلحة وهى تنهب الصحراء لتلاقيه، ولابد لنا من سلاح مدفعية قوى يعاون سلاح الطيران فى مهمته، ولكننا بعد هزيمة يونيو لم نعد سلاح الطيران ولا سلاح المدفعية حتى الكمية القليلة من طيراننا التى كان فى إمكانها أن تحدث توازنا فى معركة يونيو دمرها العدو قبل بداية المعركة وهى رابضة فى مطاراتها. فانكشفت قواتنا المسلحة وكانت الهزيمة المنكرة. وزاد الطين بله أن أصدقاءنا تخلوا عنا فى وقت الأزمة، فكانت سماؤنا مفتوحة للطيران الإسرائيلى الذى قام بقوة من الطيران قوامها ١٧٤ طائرة بغارة قتالية على كل مطاراتنا فى أبو صوير والأقصر وغيرها دمرت معظم سلاح طيراننا. وقامت موجة أخرى من الطائرات الإسرائيلية قوامها حوالى ١٦٠ طائرة لتحطم ما تبقى من سلاح الطيران المصرى سليما، وما أذيع من وثائق العدوان حتى تاريخنا هذا يؤكد أن مؤامرة كبرى علينا وقعت. ليس من إسرائيل وحدها، وإنما من الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة، ويؤكد ذلك الوثيقة التى أذاعها محمد حسنين هيكل فى كتابه الانفجار ١٩٦٧ وذلك من رسالة المارشال جوزيب برور تيتو إلى زعماء الدول والأحزاب الشيوعية الذين كانوا فى اجتماع فى بودابست لبحث شئون الشرق الأوسط، والذى تعرض فيه بريجنيف وكوسيجين وبودجورنى زعماء الاتحاد السوفيتى وقتذاك لحملة شديدة من معظم الزعماء الشيوعيين الآخرين. تتهمهم بالاستسلام للأمريكان وتنتقد مسلك كوسيجين فى اجتماع جلاسبورو مع جونسون، وأنه هناك لعب به جونسون بطريقة تؤدى إلى انكشاف موقف المعسكر الشرقى بأكمله، ويقينى أن هناك العديد من الوثائق الأخرى لم يزح الستار عنها بعد تؤكد خيوط المؤامرة الكبرى على مصر وعبد الناصر التى شارك فيها العالم كله بغربه وشرقه فى وقت كان المعسكر الشيوعى يؤكد صداقته للعرب ضد المعسكر الغربى.

وتحالف الشرق مع الغرب للخلاص من عبد الناصر

لم تظهر وثيقة حتى الآن تؤكد تحالف الشرق مع الغرب بهدف التخلص من جمال عبد الناصر نهائيا في عدوان ٥ يونيه سنة ١٩٦٧ الذى انتهى بهزيمة شنعاء له تخلف عنها احتلال حوالى ثلث الأراضى المصرية والعربية فى سوريا والأردن. بالإضافة إلى احتلال إسرائيل للأراضى الفلسطينية بالكامل ـ بسيطرتها على الضفة الغربية وقطاع غزة ـ فى حين أن عبد الناصر استطاع أن يصد عدوانا بريطانيا فرنسيا إسرائيليا فى حرب عام ١٩٥٦ لم يتخلف عنه احتلال شبر واحد من الأرض العربية فى مصر وسوريا والأردن والأراضى الفلسطينية، وحطم هدفهم الرئيسى من عدوانهم، وهو تحطيم القوات المسلحة المصرية فى الصحراء بقراره الذى أصدره على الفور عندما تأكد له أن بريطانيا وفرنسا دخلتا الحرب مع إسرائيل الذى يقضى بانسحاب القوات المصرية.

ولكن فى عدوان ١٩٦٧ لم تترك له إسرائل الفرصة لاتخاذ هذا القرار مرة ثانية حيث كان التخطيط إنهاء الحرب فى ست ساعات حتى لاتتاح الفرصة لعبد الناصر لاتخاذ مثل هذا القرار. وقد كان. ولو لم يحدث ذلك كان التخطيط مرسوما على أساس تدخل الولايات المتحدة وبريطانيا مع إسرائيل لإنهاء المعركة بسرعة، وربماكان هناك اتفاق مع الاتحاد السوفيتى على أن يتلكأ فى تنفيذ طلبات مصر والدول العربية الأخرى الحليفة له إلى أن تنتهى المعركة. وما أذيع من وثائق حتى الآن يؤكد أن هذا التواطؤ أو قلْ التحالف بين الشرق والغرب على التخلص نهائياً من عبد الناصر، ويؤكد ذلك ما أذيع من رسالة جوزيف بروز تيتو إلى زعماء الدول والأحزاب الشيوعية فى اجتماعهم الذى عقد فى بودابست لبحث شئون الشرق الأوسط والتى أشرنا لها من قبل. كما يتأكد هذا التحالف من خدعة الشرق والغرب لعبد الناصر عندما أيقظه السفير الأمريكى فى القاهرة، ومن بعدة السفير السوفيتى فى فجر ليلة العدوان يطلبان منه عدم البدء فى العدوان، واستيقظ عبد الناصر على عدوان إسرائيل وتحطيم سلاحه الجوى عن آخره وهو أمر حسم المعركة تماماً، وما أذيع من وثائق تثبت تباطؤ الاتحاد السوفيتى عن إرسال شحنات الأسلحة

والذخائر المطلوبة بسرعة لمصر. بحجة أن الحكومة اليوغسلافية لم تعطه إذنا بمرور الطائرات التى تحمل هذه الأسلحة والذخائر عبر أجوائها فى طريقها إلى مصر وحتى لما اتصل عبد الناصر بصديقة تيتو وحصل منه على الإذن المطلوب أرسل الاتحاد السوفيتى إلى عبد الناصر رسالة تخبره أن هذه الأسلحة ستصل إليه فى الفترة من ٩ يونيو إلى إلى آخر اغسطس، وكان تعليق عبد الناصر على هذه الرسالة أن الجدول الزمنى الخاص لايأخذ فى اعتباره سرعة الأحداث، وأنه يشك أن الأزمة تستطيع أن تنتظر إلى هذا الحد، ولو أنها انتظرت لكان تقديره أنه قد أمكن تفاديها واحتواءها بالوسائل السياسية، وأضاف أنه فهم من كل ماأثاره الاتحاد السوفيتى حول امتناع اليوغسلاف عن إعطاء الأذن بعبور الطائرات السوفيتية فى الأجواء اليوغسلافية أن المسألة لن تستغرق ساعات. أما إذا كان حسابها بالأسابيع فإن استعمال الطائرات يصبح إسرافا لامعنى له، والأسهل منه استخدام البواخر، وقد كشف الرئيس الجزائرى هوارى بومودين موقف الروس تماماً وتواطؤهم مع الغرب ضد مصر عندما زار موسكو فور انتهاء العمليات العسكرية فى عدوان ١٩٦٧ بناء على اقترح من الرئيس جمال عبد الناصر ، لاستطلاع نوايا السوفيت فى المرحلة القادمة عندما وجه سؤالا إلى القادة السوفيت يقول : إنه يريد ـ أى الرئيس هوارى بومدين ـ أن يعرف ما هى حدود الوفاق بينهم وبين الأمريكيين؟ واستطرد يقول: إننا نراه وفاقا من جانب واحد. فأنتم ـ أى القادة السوفيت تتصرفون بأقصى درجات الضعف، والآخرون ـ أى الأمريكان ـ يتصرفون بأقصى درجات القوة، وهنا قاطعه ـ كما يقول حسنين هيكل ـ كوسجين قائلا أن الاتحاد السوفيتى لايتصرف بضعف. . ورد بومدين قائلاً . . بل إنكم تتصرفون بمنتهى الضعف اذا كنتم تتصورون أننى جئت إلى هنا لكى أجاملكم فإننى لن أفعل ذلك. . . ولقد جئت لأحدثكم بالحقيقة والحقيقة أننا لسنا وحدنا الذين هزمنا وإنما انتم هزمتم فى نفس الوقت معنا ـ بل قبلنا ـ وإذ كنتم لاترون أن ميزان القوى العالمية قد تحول لصالح الناحية الأخرى فهذه مصيبة، وإن كنتم ترون ذلك ولاتفعلون شيئاً فهذه مصيبة أكبر، وأنتم أكثر من غيركم تعلمون مدى الدور الذى قام به الأمريكيون مع إسرائيل وما كانت لتقدم عليه وحدها لولا هذا الدور، وتعرفون أيضا أكثر من غيركم ما الذى يعنيه ضرب

القوى التحـرريه العربية فى التوازن الدولى القادم. كـما أنكم تعرفون أن جزءا كـبيرا مما تحملناه كان مقصودا به وجودكم ونفوذكم المعنوى فى المنطقة وقد تركتم ما حدث يحدث ـ رغم أنكم أول ما حذر منه دون أن يصدر عنكم أى رد فعل إلا بالبيانات والمقالات.

على أن هناك مـوقفـا آخر شـاهدته بنفسي يؤكـد أنه كان هناك اتفـاق ما بيـن الاتحاد السوفـيتي والولايات المتحـدة بشأن منطقـة الشرق الأوسط. فقـد قام عبـد الناصر بزيارة للاتحاد السوفـيتى بعد أن أكمل جانبا كـبيرا من حرب الاستنزاف التى شنهـا ضد إسرائيل وأصابتهـا بأضرار كبيرة. وكـان من نصيبى أن أرافقـه فى هذه الزيارة بحكم عملى مندوبا للإذاعة فى رئاسـة الجمهورية. وقـيل يومها إن عبـد الناصر ذاهب إلى الاتحاد السوفـيتى للحصـول على اسلحة هجوميـة وليست أسلحة دفـاعية ـ كمـا كان متبـعا فى كل زياراته للاتحاد السوفيتى السابقة ـ وأنا أستـعد للسفر كان هناك من قرأ لى الفنجان والذى لايعرف طبيعة عملى فإذا به يقول أن الفنجان يقرر حقيقة وهى أنك ستسافر مع شخصية كبيرة إلى الخارج وأن هذه الشخصية ستعود من هذه الرحلة غـاضبة هائجة لانها لم تحقق ما سافرت من أجله وأما أنت فستعود مسرورا فرحا على نطاقك الشخصى واندهشت من قول الرجل أوقول الفنجـان ولكنه أراد أن يقنعنى بما يقول فـأشار فى الفنجان إلى صـورة الشخصـية الكبيـرة وصررتى وفعـلا كانت صورته مكتـئبة وصـورتى فرحة وتركت الرجل وأنا غـير مصدق وسافرت مع عبد الناصر وهناك فى موسكو كنا نشعر بما تمر به المحادثات من اتفاق أو خلاف. فكانــت إذا مرت باتفاق كـان الروس يغالون فى تكـريمنا، وكان ترومـتر هذا الكرم تقديم الكافيار لنا وتلبية كل طلباتنا. فكانوا إذا قدموا لنا الكافيار فهمنا أن المحادثات ناجحة، وإذا لم يقدمـوه لنا فهمنا أن المحادثات فاشلة. وقد حدث فى اليـومين الأخيرين من زيارتنا أنهم لم يقدمـوا لنا الكافيار، ولم يلبـوا طلباتنا، وكانت مـعاملاتهم لنا سيـئة فأدركنا أن عبـد الناصر فشل فى إقناع القادة السوفـيت بمده بالأسلحة الهجومية، واكـتفوا بمده بكل ما يريد مـن الأسلحة الدفاعـية فقط. وهذا أمـر آخر يؤكد تواطؤ السـوفيت مع الأمريكان على التخلص من الناصر، وأما على المستوى الشـخصى الذى أشار إليه قارىء الفنجان فقد كنا سعداء حقا حيث كنا نسـتبدل الدولار بثمانى روبلات وأحيانا عشرة وهو ما لم يحدث من قبل فى زياراتنا المتعددة مع عبد الناصر للاتحاد السوفيتى.

وكان هذا سر سعادتنا فقد حصلنا فى هذه الزيارة على كل ما كنا نريد الحصول عليه من حاجيات، وعدنا محبورين الخاطر. أما عبد الناصر فقد عاد كئيباً حزينا حيث رفض الاتحادالسوفيتى الموافقة له على كل طلباته، وفى تصورى أن هذا الموقف من الاتحاد السوفيتى وغيره من المواقف التى أشرت إليها جعل عبد الناصر يعيد حساباته مع حليفه الأكبر. فبعد أن سلمه سلاح طيرانه وفتح له ذراعيه على أمل أن يعاونه فى مسح الهزيمة المنكرة التى نالها على يد إسرائيل وحلفائها، ولكنه أدرك أخيراً أن المؤامرة أكبر منه ومن تفكيره، ولكنه لم يستسلم كعادته ورد الصاع صاعين للروس يوم أن أعلن فى الكرملين وعلى طاولة المفاوضات وفى مواجهة كل الزعماء السوفيت المجتمعين معه قبوله لمبادرة روجرز وزير خارجية الولايات المتحدة لإقرار السلام فى الشرق الأوسط حسب وجهة النظر الأمريكية، وبات واضحا من إقدامه على هذه الخطوة أنه يئس من موقف الاتحاد السوفيتى غير الإيجابى بسبب عدم تعديه الخط الأحمر المتفق عليه مع الولايات المتحدة، وهو أمر فسره المراقبون وقتذاك بأن عبد الناصر أخذ يميل إلى الغرب ويخرج من مظلة الروس، وهو الذى ظل محافظا على مبدأ عدم الانحياز إلى أى من الكتلتين إلى أن أدرك أن اللعبة الدولية لها قواعد واتفاقات لايمكن الخروج عنها.

عندما تنحى عبد الناصر عن حمل المسئولية

في الساعة السابعة من مساء يوم الجمعة ٩ يونيو عام ١٩٦٧ فوجئنا نحن مندوبي الإذاعة والتلفزيون والصحف كأي فرد من الشعب بأن جمال عبد الناصر أعلن في خطاب إذاعه بالتلفزيون عن تنحيه عن المسئولية، وتعيين زكريا محيي الدين رئيساً للجمهورية. وكنا قد قبعنا في بيوتنا آملين أن ننال قسطا من الراحة من عناء عمل متواصل مضن منذ ٥ يونيو يوم العدوان المشئوم، ولكن هكذا حياة الباحثين عن الأنباء يأملون في الراحة، ولكن غالبا ألا يتحقق أملهم، ويستعدون ليوم حافل بالأحداث، ولكن لم تتحقق ظنونهم ويمر اليوم رتيبا هادئاً.

وكان يوم الجمعة ٩ يونيو من الأيام الذى كنا نعتقد أنه يوم هادئ، وأن الأحداث ستتركز في بيت القيادة في منشية البكرى. حيث يقيم صانع هذه الأحداث في مثل هذه الفترات الدقيقة من حياة الأمم والتزاما لتعليماته إلينا - أى تعليمات القائد جمال عبد الناصر . . . أنه وحده الذى سيقوم بالإعلان عن هذه الأحداث وأن مسئوليتنا فقط - كمندوبين في رياسة الجمهورية - تتحدد في تغطية نشاط رئيس الجمهورية خارج منزله، بسبب هذا أمضينا يوم الجمعة في منازلنا، وكانت المفاجأة لنا التى جعلتنا نتخطى تلك التعلميات، ونتوجه على الفور إلى منشية البكرى، ولكننا لم نستطع بسبب الطوفان البشرى هرع إلى الشوارع يطالب القائد بالعودة. والحق والحقيقة كان يوما مشهودا واستفتاء شعبيا رائعا لاترتيب فيه على حب الشعب لعبد الناصر - رغم الهزيمة لقيادته العسكرية والسياسية والدبلوماسية والإعلامية - ولكن هذه الصورة الرائعة بين الشعب وقائده شوهها همسات أطلقها الذين لايطيقون ما يرونه همسات سمعناها تقول بصوت خفيض علها تخفف من هذا المظهر الرائع. . . تلك الهمسات كانت تقول. . . لقد خدعكم عبد الناصر بلعبته، هل صدقتم فعلا أنه سيتخلى عن الحكم لغيره؟ هل عرفتم حاكما تخلى عن كرسى الحكم بإرادته؟ إن عبد الناصر أراد بهذه اللعبة أن يمتص غضب الشعب عليه حتى لايحاكمه على إهماله وإهمال قادته، وبينما نحن نستمع لهذه الهمسات التى لم يكن لها

أى صدى أمام تلك الجماهيـر الزاحفة لعبد الناصر تطلب منه البقاء ليـقود السفينة قبل أن تغرق نهائيا ويضيع شعب وأمة، فإذا بأنباء لم تتأكد صحتها تقول بأن بعض مكاتب الاتحاد الاشتراكى فى الـقاهرة والأقاليم قد نزعت صـورة عبد الناصر ووضعت بـدلا منها صورة على صبـرى وأن تعيين زكريا مـحيى الدين جاء على غيـر رغبة قادة الاتحـاد الاشتراكى، ونحن نستمع لهذا وذاك تخيلنا أن القاهرة ستحرق مرة أخرى كما حرقت فى ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ ولكن أزحنا هذا الخيال على الفور واستـبعدناه. لأن من حرق القاهرة فى يناير لم يكن الشعب وإنما كان المحتل والسراى، والصورة تختلف اليوم. فلامحتل ولاسراى يمكن أن يدفع تلك الأمواج البشرية المتـلاطمة إلى حرق القاهرة. لأنها أمواج من البشـر حركها حرصها على بلدهم ومستقـبلها، وأيقنا أن عبد الناصر لايمكن أن يرد هذا الشعب المنطلق كـالبركـان الهائج دون أن يـحقق مطالبـه. وإلا اختـل الأمن وعمت الفـوضى وتداعت الأحداث إلى أسوأ من الهـزيمة، وتمكن أعداؤنا من تحقيـق أهداف أكبر من الأهداف التى تحققت بسبب الهزيمة. . . وبقينا ليلة طويلة لانعرف كيف ستطلع علينا شمس اليوم التالى . . ومنذ أن قامت الثـورة ونحن موعـودون بمثل هذه الليالى الطويلة، ولكن القلـيل منها كانت ليالى تحمل معـها الأمل المشرق فى مستقبل مزهر لمصر، وأغلبهـا كانت تحمل معها اليأس والمستقبل المظلم والقلق على مصير مصـر الحبيبة ، فقد بتنا ليالى طويلة فى مجلس الثورة بالجزيرة كلها أحـلام وردية وآمال عريضة فى مجتمع كله رخـاء ورفاهية على ضوء قرارات أصدرها هذا المجلس كنا نحلم بصدورها. لأنها كانت قرارات فى صالح الطبقات الكادحة من شـعبنا التى عاشت تحـت جشع المستـغلين من الإقطاعيين وأصـحاب رؤوس الأموال ونهب المستـعمرين وظلم الملك وحاشيـته المنغمسيـن فى الملذات على حساب هذا الشعب المسكين، وفى المقابل عشنا ليالى طويلة فى خضم الصراع المميت الذى احتدم بين أفكار رجال الثـورة المتطورة وأفكار الإقطاعيـين وأصحاب رؤوس الأمـوال المتحـجرة التى كانت تبحث فقط عن تكوين المال دون إعطاء الشعب حقوقه المشروعة من الحياة الكريمة. وكان صراع حياة أو موت. فإما أن تبقى الثورة ويذهب هؤلاء المستغلون، أو تفشل الثورة وينتصر هؤلاء المستـغلون ليزدادوا اضطهاداً لشعبنا. وعشنا ليـالى طويلة نرقب صراعا من

نوع آخر. صراعاً بين أعضاء مجلس قيادة الثورة أنفسهم. عشنا أزمة محمد نجيب مع عبد الناصر ومع مجلس الثورة. وهى أزمة كاد أن ينتصر فيها محمد نجيب ويذهب عبد الناصر وثورته. عشنا أزمة استقالة جمال سالم ومن بعده أزمة صلاح سالم وبغدادى وعبد الحكيم عامر وغيرهم ممن استقالوا أو أقيلوا قبلهم وبعـدهم وكانت كلها أزمات عصبية. بالإضافة إلى أزمة الثورة والإخوان المسلمين وأزمة الثورة مع العالم الخارجى وقصة الأحلاف وتمويل السد العـالى والحصـار الاقتصـادى وتأميم قناة السويس. وأخـيراً العـدوان الثلاثى الذى شاركت فـيه مع إسرائيل بريطـانيا وفرنسـا، وسعدنا بأن هذا العـدوان فشل أمام تصـميم الشعب على الوقـوف خلف قيادته. وها هو اليـوم يقف خلف هذه القيادة رغم هزيمتـها وفشلهـا، وهذا هو صدق الشعب المصرى العـريق لايتخلى عن قيـادته فى أوقات المحن، ولكنه فى نفس الوقت نفسه يحاسـبها حسابا عسيراً على أخطائها حـتى تصوبها أو تتخلى عن الحكم.

لعلنى استطرت وتركت نـفسى لمشاعرى وأحـاسيسى وبعـدت بذلك عن لب الموضوع فلنعد إليه، ولما فشلنا فى الوصول إلى مصـدر الأنباء فى منشية البكرى. حيث لم نستطع اختراق تلـك الكتل المترامية من الشـعب فى شوارع القاهرة المؤدية إلى مكان عبـد الناصر توجه كل منا إلى جريدته لنتابع الأنبـاء من هناك، وتوجهت أنا إلى الإذاعة وهناك أطلعت على ما تناقلته وكالات الأنباء عن الحدث الكبير، وسمعت تفاصيل ما حدث فى هذا اليوم من تاريخ مصر الفـاصل ومن تاريخ الشعب المصرى المضىء، وأما فيمـا يختص بوكالات الأنباء فقد عرفت منهـا أن جميع قيادات العالم أو معظمهـا اتصل بعبد الناصر أو بعث له برقية يطالـبه فيها بالعـدول عن قراره ـ فيمـا عدا الولايات المتحدة الأمريكـية وبعض قادة الدول الغربية ـ باستثناء الجنرال ديجول الذى أصدر بيـانا فى فرنسا تمنى فيه أن يتمكن عبد الناصر بشجـاعته ووطنيته من الاسـتجابة لمشاعر أمـته التى تطالبه بالبقاء فى مـوقعه، وأن النصر والهـزيمة عوارض عابرة مـرة فى تاريخ الأمم. أما القادة السـوفيت فكانوا أول من أبرقوا إلى عـبد الناصر ـ برقيـة سأوردها بنصا لأنها تحـمل معانى كثـيرة ـ فقد كـان عبد الناصر عـاتبا على الاتحـاد السوفـيتى وموقـفه من الأزمـة، وكان مسـتعـداً لو أن الاتحاد

السوفيتى تصرف بحزم وحسم، ولما كانت الأمور قد وصلت إلى هذا الذى نحن فيه اليوم، وربما كان هذا الموقف السوفيتى هو العامل الرئيسى لاتخاذ عبد الناصر قرار التنحى. لأنه بثاقب فكره أدرك أن المستقبل بعد المعركة والهزيمة يتطلب الاتصال بالولايات المتحدة «وقلبه مملوء بالمرارة من الأمريكان» وقد لايستطيع القيام أو لايقدر القيام بهذا الاتصال، وأما مساومة القادة السوفييت بالاتصال بعبد الناصر فى هذه الأزمة. فإن عبد الناصر يرحب به لإن إعادة القوات المسلحة إلى قوتها بعد الهزيمة لابد وأن يكون عن طريق التعاون الكامل مع الاتحاد السوفيتى لهذه الاعتبارات وغيرها، ونسجل هنا نص رسالة السوفيت التى بعث بها إلى القيادة المصرية السفير المصرى هناك وهذا نصها:

الصديق العزيز ناصر:

أنتم تتمعون بسمعة ضخمة فى العالم العربى وإن الشعوب العربية كلها تثق فيكم وأصدقاؤكم يحترمون نضالكم ويحترمون شخصكم. إنكم باستمراركم فى منصبكم رئيساً تستطيعون العمل، ويجب أن تعملوا كل الممكن من أجل المحافظة على دولتكم وشعبكم . إن العالم العربى والقوى التقدمية فى العالم العربى سوف لايفهمون ولايوافقون على تنحيتكم عن قيادة البلاد فى هذه اللحظة العصيبة والمسئولة. ونحن مستعدون لبحث كل الخطوات المشتركة لحل جميع المشاكل الاقتصادية والعسكرية فى أى وقت ترونه. مع احترمنا العميق.

إمضاء: بريجنيف كوسيجن بادجورنى

ورسالة السوفيت بتعبيراتها هذه لاشك أنها تفتح طاقة نور أمام عبد الناصر وسط الظلام الدامس المحيط به، وتجدد أمل خروجه من الأزمة واستئناف عمله من جديد لإزالة آثارها الخطيرة على مستقبله السياسى ومستقبل مصر.

أما عن العالم العربى فقد حملت وكالات الأنباء أنباء المظاهرات الصاخبة التى تطالب عبد الناصر بالعودة والرجوع عن قرار تنحيه، وانهالت البرقيات على رياسة الجمهورية من أنحاء العالم العربى بطريقة تؤكد أن الشعوب العربية كانت فى نفس موقف الشعب

المصرى تطالب الزعيم بالعودة إلى قيادة ثورته التى تمثل أمل تلك الشعوب فى تخطى كافة قضاياها ومـشاكلها، وبناء مجـتمع عربى قوى يواجـه كافة التحـديات والأخطاء الداخلية والخارجية التى تمسك بتلابيب الأمة العربية، وإيمـان تلك الشعوب بأن اختفاء عبد الناصر من الصورة سيبـدد كل الآمال التى عقدوها عليه وعلى ثورته، هذا باختـصار كان أصداء وردود فعل قرار عبد الناصر بالتنحى عن حمل المـسئولية فى مثل هذا الظرف العصيب من تاريخ مصر الحديثة. أما ما حدث فى مـصر إلى أن تراجع عبد الناصر عن قراره فله قصة أخرى مثيـرة، وتفاصيلها مثيـرة أكثر، وكلها تؤكد للذين أرادوا اتهام عـبد الناصر بأن ما يفعله إنما هو مـحاولة لامتصاص غـضب الشعب إنما هو محض افـتراء. وأن الرجل كان فعلا سيعتزل المسئولية، وأنه نزل عن قراره تحت ضغط الشعب الرهيب، وتحت خوفه على مستقبل الثورة ومستقبل مصر.

تحت ضغط الهزيمة تنحى عبد الناصر وبضغط الشعب عاد إلى موقعه

لم يكد عبد الناصر يذيع بيان تنحيه عن تحمل المسئولية حتى اندفعت الجماهير بطريقة عفوية تلقائيــة إلى شوارع مدينة القاهرة وأزقتها وحواريهــا، وتوقف المرور نهائيا وانسدت الشوارع بكتل بشرية وأغلقت المحلات والمتاجر وانطلقت تهـتف هتافات عدائية ضد السيد زكريا محـيى الدين الذى عينه جمـال عبد الناصر لتـحمل المسئوليـة من بعده، وانطلقت تهتف هتـافات مـدوية كالرعد تطالب برجـوع جمال عـبد الناصـر، وبدا أن زمام الأمن سيـفلت كلية هذه الليلة إذا لم تتـدارك الأمر القيـادة السياسـية والقيــادة الأمنية فى ذلك الوقت، وكل الصلة مقطوعة بين القـيادتين فلم يستطع أى منهما اختراق جمـوع الجماهير المتراصة لـلالتقاء بالقيادة، وكـانت وسيلة الاتصال هى التليـفون وحده. فلازكريـا محيى الدين استطاع أن يلتقى بعبد الناصـر فى منشية البكرى، ولا أنور السادات ـ وكان فى هذا الوقت رئيســا لمجلس الأمة ـ ولاشـعراوى جمـعة وزير الداخليـة استطاع أن يتـحرك من منزله، ولا محمد فـائق وزير الإعلام ولا المشير عبد الحكيم عامـر الذى كان محور اللوم وسبب الهزيمة ولكن الشعب الثائر الهائج لم يكن يفكر فى هذه اللحظة فى تحديد المسئول عن النكسة وقد كفـاه عبد الناصر هذا الأمر عندما أعلن أنه يتحـمل وحده هذه الهزيمة، كان شغله الـشاغل إثناء عبد الناصر عـن قراره، وفى ظل هذا الحماس الشعـبى البالغ لم تستطع حراسـات عبد الناصر ـ رغم تشديدهـا منع أعداد من هذه الجماهير من لقـاء عبد الناصر والتعبير عن رغـبة الشعب العارمة فى عودته، وحماية مصر من كارثة مـحققة غير معروفـة النتائج ولا العواقب، ولكنه كـان يطمئنهم ولم يعدهم بالعــودة، أو الرجوع عن قراره، ووسط هذا الموج المتلاحق من الـبشر وامتداده من القـاهرة إلى الأقاليم والمحافظات والثورة تتملك كل كيانـه والقلق يحتويه خوفاً من مستقبل مظلم أمـر من الهزيمة والنكسة فوجىء بصوت صفارات الإنذار تدوى فى الأفق معلنة عن وقوع غارة، وظننا أن الأمر لم يعد أمر الهزيمة بل الأمـر أكبر بكثير. فالعدو لم تكفه هذه الهـزيمة وجاء ليكملها بهدف التخلص من عبد الناصر الذى أصبح معـبود الجماهير ـ رغم ما منى به من هزيمة نكراء ـ وظننا أن إسرائيل تريد بغـارتها هذه التخلص من عبـد الناصر نهائياً، ولكن الجـماهير لم

تتحـرك قيـد أنملة ولم يهزها الخـوف من الغارة، وبينمـا نحن مندوبى الصـحف والإذاعة والتلفزيون نفكر فى الأمر ونقلبه على كل الجوانب إذ بوكـالات الأنباء تحمل بيانا إسرائيلياً يؤكد أنه ليس لإسرائيل أى طائرة اخترقت عمق القاهرة ومصر، فتنفسنا الصعداء وأيقنا أن القيادة الأمنية هداها تفكيـرها إلى استخدام صفارات الإنذار لتفرقة تلك الجـماهير المتراصة حتى يستتب الأمن ويعود الهدوء والاستقرار، ويتسع الوقت لبحث الأمر واتخاذ القرارات التى تهدىء روع هذه الجـماهير الثائرة والمتحفذة فى وقت واحـد، والتى يمكن أن تحول البلاد إلى ثورة شـديدة الشبه بثـورة عام ١٩١٩ بالرغم من الخـلاف الكبير بين الحـالتين. فثوره ١٩ كانت ضد الإنجليـز والاحتلال، والجماهير اليوم تطالب بمهة قومـية وطنية رغبة منها أن تستمر ثورة يوليو التى عقدت عليـها الآمال بعد أن خلصتها من الاحتلال وأجلت الانجليز حتى تكمل أهدافها الست التى أعلنتها، وصادفت لديها ارتياحا وتأييداً عارما على أمل أن تبنى نهضة مصرية حقة تزيل الفوارق بين الطبـقات، وتقيم مجتمع الكفاية والعدل بعد أن تقضى على إسرائيل وتعـيد للفلسطينيين كافة حقوقهم المشـروعة فى إقامة دولتهم المستـقلة. وهى التى خطت خطوات جـبارة على الطريق بـعد أن جمـعت كل الفصـائل الفلسطينية فى منظمة واحدة هى منظمة التحرير الفلسطينية بقيادة ياسر عرفات.

هذه الأمال العريضة هى التى كانت تحرك الجماهيـر لإعادة عبد الناصر ليقود الثورة من جديد ليكون ذلك أبلغ رد على المؤامرة الكبرى التى حـيكت ضده من إسرائيل ومن العالم كله بمعسكره الشرقى والغربى، وكان نتيجتـها نكسة يونيو التى قضت على قواتهم المسلحة وقـضت على كل الأمال الوردية التى أخذت تتـزايد من ميلاد الثـورة عام ١٩٥٢ إلى عام ١٩٦٧ الذى شهـد تلك الهزيمة المرة، وأمام هـذا الضغط الجماهيـرى الزائد كان لابد أن يعيـد عبـد الناصر النظر فى قـرار تنحيـه. خاصة بعـد أن أجمع كل المحـيطين به، وفى مقـدمتـهم زكريا مـحيى الدين الأصل لهـذه الأزمة سـوى عودة عـبد الناصر إلـى تحمل المسئـولية، وبناء القـوات المسلحة من جـديد. خاصـة وأن التاريخ ملىء بهـزائم أشد من هزيمتنا وأعنف تحولت إلى نصر مؤزر بنفس القائد الذى منى بالهزيمة.

على أننى لا أبالغ لو قلت إن مصر لم تشهد يوما ولا ليلة كيوم ٩ يوليو عام ١٩٦٧ وليلة عشره يونيو منه، والصورة كانت كما يلى: الجماهير تملك الشوارع ولاتسمح لأحد بالمرور مهما حوصر برجال الشرطة. والمسئولون محددة إقامتهم فى منازلهم لايستطيعون مغادرتها، لم يستطع أى منهم اختراق تلك الجماهير والالتقاء بعبد الناصر، والإذاعة والتلفزيون تنقل صورة الجماهير الزاحفة الهادرة المنادية بعودة عبد الناصر، والوكالات الأجنبية تنقل تلك الصورة الرائعة بالصوت والصورة، وتؤكد فى أنبائها أن الجميع من قادة مصر ومسئوليها يؤكدون أنهم لايقبلون إلا العمل تحت قيادة عبد الناصر، وعبد الناصر أمر بعدم الاتصال به مباشرة، والدولة كلها انتقلت إلى مكتب سامى شرف الكائن فى منزل فى مواجهة منزل عبد الناصر فى منشية البكرى، ضغط الشعب على عبد الناصر يتزايد من لحظة إلى لحظة، من المنتظر أن يفلت الزمام فى أية لحظة إذا لم يحدث ما يهدىء من ثورة الجماهير الغاضبة. . كانت هذه الصورة التى نقلتها وكالات الأنباء من مصر وقرأناها على التكرز. وكان محمد فايق وزير الإعلام آنذاك يداوم الاتصال بغرفة الأخبار فى الإذاعة يملى القليل من الأنباء ويتلقى الكثير من الأنباء، ونحن فى هذا الخضم من الأنباء فى غرفة الأخبار بالإذاعة. إذ بمندوبنا فى مبنى البرلمان يتصل بنا ليبلغنا بأن الجماهير اقتحمت مبنى البرلمان فى مظاهرة مفعمة بالأسى والغضب تطالب رئيس المجلس أنور السادات أن يفعل شيئاً وهو بدوره كان محاصراً بأعضاء مجلس الأمة يطالبونه بالتوجه إلى بيت الرئيس عبد الناصر على رأس وفد منهم كممثلين للشعب يطلبون منه التراجع عن قراره لتدارك الأوضاع الخطيرة التى قد تنجم لو استمر واقفا على هذا الجمود، وأضاف مندوبنا أن أعضاء المجلس لما لم يستطيعوا اختراق زحف الجماهير للوصول إلى منزل عبد الناصر دخلوا قاعة واعتبروا أنفسهم فى اجتماع شرعى باسم الشعب ملحين على مطلب عودة جمال عبد الناصر، وإصدار بيان بذلك، وأن البعض منهم قد قام بإعداد هذا البيان، وقام بعرضه على أنور السادات رئيس المجلس، إلا أن رئيس المجلس حاول الاتصال بعبد الناصر ليعلمه بهذا البيان أو يدعوه إلى المجلس لإلقاء بيان من عنده، وقال المندوب إنه علم أن أنور السادات قد وفق فى الاتصال بالفعل بمن يستطيع نقل رغبته هذه إلى عبد

الناصر. وأنه قـرر ـ أى السادات ـ دعوة عـبد الناصر للـحضور إلى مـبنى البرلمان إلا أنه طلب تكثـيف الحراسة من حـوله حتى يسـتطيع الوصول. إذ إن حـرس البرلمان قـد فشل بالفعل فى تفريق الجماهير وإخـلاء المبنى منهم. وقد وصلت إلينا هذه الأنباء فى منتصف الليل أو قبل ذلك بقليل، وعاود مندوب الإذاعة فى البـرلمان الاتصال ليبلغنا بأن الأمر قد استقر بالفعل على أن يوجه عبد الناصر بيانا للأمة من خلال المجلس الذى يمثلها ما دامت الطرق إلى المجلس مغلقـة تماما، وأن أية محـاولة لاختراق كتـل الجماهير المتـراصة داخل المجلس وخارجه وفى الشوارع المحيطة به قد تثير حـالة من الفوضى يتعذر علاجها، وكان ذلك رأى الجهات المنوطة والمسئولة عن الأمن، وقال المندوب إنه سيتصل بنا مرة أخرى إذا وجد جـديدا فى الأحداث. وبعد نصف سـاعة دق جرس التليـفون، وكان هو المتـحدث وقال: لقد صـدر البيان بالفعل وأنه يحاول الحصـول عليه ليبغلنا به لإذاعتـه، وبعد دقائق اتصل بنا وأملى لنا البـيان الذى أذاعه جمـال عبد الناصـر للأمة من خلال مـجلس الأمة وكان عبارة عن رسالة أرسل بها عبد الناصر إلى أنور السادات رئيس المجلس، وكان نصها كالتالى:

السيد رئيس مجلس الأمة:

لقد كنت أتمنى لو سـاعدتنى الأمة على تنـفيذ القرار الذى اتخـذته بأن أتنحى، ويعلم الله أننى لم أصدر فى اتخاذ هذا القـرار عن أى سبب غير تقديرى للمسـئولية وتجاوبا مع ضميرى، وما أتصور أنه واجبى، وإنى لأعطى هذا الوطن راضيا وفخورا كل ما لدى حتى الحياة إلى آخر نفس فيها.

إن أحـدا لايستطيع ولايقـدر أن يتصـور مـشاعـرى فى هذه الظروف إزاء هذا الموقف المذهل الذى اتخذته جماهير شعبنا وشعوب الأمة العربية العظيمة كلها بإصرار على رفض قرارى بالتنحى منذ أعلنته وحتى الآن. ولا أعرف كيف أفى بهذا الحق، ولاكيف أعبر عن عرفانى اتجاهه.

إن الكلمات تضيع منى وسط زحام من المشـاعر يملك على كل جوارحى، وأقول لكم

بأمانة ـ وأرجوكم تبليغ مجلس الأمة الموقر أننى مـقتنع بالأسباب التى بنيت عليها قرارى، وفى نفس الوقت فإن صوت جماهير شعبنا بالنسبة لى أمر لايرد، ولذلك فقد استقر رأيى على أن أبقى فى مكانى، وفى المـوضع الذى يريد الشعب منـى أن أبقى فيـه حتى تنتـهى الفترة التى نتمكن فيها جميعا من أن نزيل آثار العدوان، على أن الأمر كله بعد هذه الفترة يجب الرجوع فيه إلى الشعب فى استفتاء عام.

وإننى لأشعر أن النكسة لابد أن تضيف إلى تجربـتنا عمقا جديدا، ولابد أن تدفعنا إلى نظرة شاملة وفـاحصة وأمـينة على عملنا. وأول ما ينبـغى أن نؤكده بفهم واعـتزاز ـ وهو واضح الآن أمام عيوننا، أن الشعب وحده هو القائد وهو المعلم وهو الخالد إلى الأبد.

والآن أيها الأخوة المواطنون فى كل مكان: أيديكم معى ولنبدأ مـهمتنا العادلة وليمنحنا الله جميعا تأييده وهداه.

جمال عبد الناصر

مؤامرة يونيو ١٩٦٧ اشبه بمؤامرة فلسطين ١٩٤٨

اطراف عربية شاركت فى المؤامرتين

بمواقف وصلت إلى حد الخيانة

تسجيل مـا حدث فى يونيو من تآمر على مصر وزعـيمها جمال عـبد الناصر لايمكن الإلمام بتفـاصيله حـاليا ـ رغم مـرور ما يقـرب من ٢٣ عـاما على وقـائعه وأحـداثه ـ أو بالأحرى تـسجيل حقـيقة ما حدث لايمكن التوصل إليها ـ رغم مـرور هذه الحقبة الطويلة من الزمن ذلك لأنه ما زال هناك العديد من المواقف يكتنفـها الغموض الكامل، وما أزيح الستار عنه هو استنتاج وتحليل لايستند إلى وثائق وأسانيد تنفيه أو تؤيده.

والتاريخ وحـده هو القادر على تسجيل حـقيقة مـا جرى فى هذا اليوم المشئـوم عندما تنكشف إليه الوثائق والأسانـيد التى لاتكذب ،والتى لاتترك الفرصة للاسـتنتاج والتحليل الذى يجوز عليه الصواب والخطأ، وإلى أن يسجل التاريخ الحـقائق عارية دون اجتهاد فإن ما لدينا مـن محاضـر ما جرى فى ٥ يونـيو وما بعـده ومن محاضـر ماجـرى فى حرب فلسطين عام ١٩٤٨ وما ألف من كتب وبحوث عن هاتين المؤامـرتين يؤكد أن الشبه بينهما كبـير، وأنه لولا بعض المواقف العربيـة المشبوهة التى وصلت إلى حـد الخيانة مـا نجحت المؤامرتان فى تحـقيق أهدافهـما المرسومـة، وأن الفارق الوحيـد بينهما أن مـؤامرة فلسطين حققت كل أهدافها حيث حصلـت إسرائيل على كل شيء ـ رغم أن القضية مازالت تقلقنا وتفرقنا كـما فرقـتنا فى عام ١٩٤٧ وعام ١٩٤٨ ويوم قـرار التقسـيم الذى رفضناه، ويوم الحرب التى خضناها بسـبب رفضنا للتقسيم ورفـضنا لقيام إسرائيل، وأما مـؤامرة ٥ يونيو فلم تحقق كل أهدافها. فقد كانت تستـهدف أمرين. الأول تدمير القوات المسلحة، والأمر الثانى: القضاء على عـبد الناصر وقد نجحت فى تحقيق هدفهـا الأول، وفشلت فى تحقيق هدفها الثانى حيث بقى عبد الناصر وعدل عـبد الناصر عن تنحيه بضغط الجماهير التى لم تقبل الهزيمـة، ووضعت يدها فى يده لإزالة آثار هذه الهزيمة، وإحـراز نصر يرد الكرامة العربية التى أهـينت، وكان لها ما أرادت فى حرب أكتـوبر المظفرة عام ١٩٧٣ التى قلمت

أظافر إسرائيل، وقطعت يدها العليا التى كانت تتفاخر بها بعد الهزيمة، ونحن الآن أمام أزمة طاحنة أخرى بسبب ما صنعه الرئيس العراقى صدام حسين بعدوانه على دولة الكويت المسالمة، والموقف العربى منها هو نفسه الذى حدث فى مؤامرة فلسطين ومؤامرة يونيو. انقسام وتشرذم أدى إلى تدويل الأزمة وأخرجها من المظلة العربية بسبب تعنت النظام العراقى وعدم انصياعه إلى تنفيذ ما طالبت به أغلب الدول العربية من ضرورة الجلاء غير المشروط من الكويت، وإعادة الشرعية إليها وإزالة كل الآثار المترتبة على العدوان. ثم يأتى بعد ذلك التفاوض والحوار حول ما يدعيه العراق من حقوق تاريخية له فى الكويت، ويقينى أنه مع انتهاء أزمة الخليج ستنكشف مواقف عربية أيدت صدام فى عدوانه وهى فى نيتها الخلاص منه ومن شروره وأطماعه وتوسعاته، وإن تأييدها له كان للف حبل المشنقة حول رقبته، وليس لإنقاذه ومساعدته للخروج من الأزمة سالما بجيشه وشعبه. وستضاف أزمة الخليج إلى سجل تآمر العرب على بعضهم الذى يفتح الطريق أمام التآمر الدولى عليهم جميعا بسبب تغليب البعض منهم أطماعهم الشخصية والذاتية والإقليمية على مصلحة أمتهم العليا الأمنية والاستراتيجية، وهو نفس ما حدث فى أعوام ١٩٤٧، ١٩٤٨، ١٩٦٧ بما يؤكد أننا العرب لانستفيد ولانريد أن نستفيد من دروس ما مر علينا من أحداث ونكبات وأزمات. إنما نقع فى نفس الأخطاء التى جرت علينا هذه النكبات والأزمات ،وردتنا إلى الوراء كلما حاولنا التقدم إلى الأمام.

هذه المقدمة وهذا الاستطراد كان ضروريا قبل الدخول فى موضوعنا الأصلى وهو ماذا فعل عبد الناصر بعد توليه المسئولية! بعد أن انقشع غبار المعركة، وهدأ زلزال الهزيمة؟ كان أول مشكلة جادة واجهت عبد الناصر هى الود الذى كان مفقودا بين الجماهير وقواته المسلحة، فكانت الجماهير تسخر منهم وتهين كرامتهم كلما شاهدوهم فى الشوارع أو فى أدوات النقل العام أو فى المنتديات والهيئات والمصالح الحكومية. حتى أن أفراد القوات المسلحة خلعوا زيهم العسكرى وارتدوا الزى المدنى ليتحاشوا إهانة الجماهير وسخريتهم منهم. فلم يجد عبد الناصر لوقف هذا الأمر الخطير إلا أن يعلن مسئوليته الكاملة عن الهزيمة واستعداده لأى جزاء يوقع عليه، حتى ولو تم شنقه فى ميدان التحرير وسارع إلى

تغيير كافة قادة القوات المسلحة الذين كانوا سببا مباشراً للهزيمة، وغير الوزارة بوزارة قادرة على دعم الجبهة الداخلية وامتصاص الهزيمة وإشاعة روح التضحية وتدريبهم لدخول معركة للثأر من الهزيمة. وفى الوقت نفسه أعلن عبد الناصر أن هناك تحقيقا يجرى مع هؤلاء القادة ومعاقبة الذى أهمل منهم فى تأدية واجبه العسكرى. كما بدأ فى إعادة تنظيم القوات المسلحة وتعويضها عن السلاح الذى فقدته على أرض المعركة. فكان عليه أن يواجه مشكلة أخطر كانت نتيجة لكل هذه التغييرات وهى مشكلة عبد الحكيم عامر ورجاله وما قيل عن إنهم يعدون لانقلاب - على رغم أن عودة المشير عامر إلى قيادة القوات المسلحة لابد أن تتم فى مقابل عودة عبد الناصر لقيادة الأمة هى المشكلة التى انتهت بوفاة المشير عامر أو انتحاره أو قتله. وسنعرض لتفاصيلها فيما بعد، المهم أن عبد الناصر بعد أن أعاد الانضباط فى الجبهة الداخلية والقوات المسلحة تفرغ للاتصال بأطراف كانت على اتصال بما حدث. سواء كانت هذه الأطراف دولية أو عربية. ومن المحاضر المسجلة لهذه الاتصالات والمقابلات تتبين حقائق تدمى القلب وتحز فى الفؤاد ويندى لها الجبين، فمنها تبين طعنة الصديق لصديقه، وطعنة العربى لأخيه العربى حقدا وكراهية، وقد أجرى عبد الناصر اتصالاته هذه وهو مجروح من الصديق التى تخلى عنه، ومن العربى الذى تظاهر بتأييده وهو يبطن له الغدر مسهلا مهمة الولايات المتحدة وإسرائيل اللذين أعلنتا تآمرهما عليه وعلى الأمة العربية بأسرها. وقد أثبتت حصيلة ما هو مسجل فى هذه المحاضر أن المؤامرة كانت شديدة الشبه بالمؤامرة التى تمت فى حرب فلسطين من العرب والأجانب الذين كانوا خلف إسرائيل. وكما حدث فى حرب فلسطين من امتناع الجيش العراقى عن تقديم المساعدة للجيش المصرى فى معركة النقب بحجته الشهيرة «ماكو أوامر» ثم ادعى العراق فيما بعد مسئولية مصر عن الهزيمة فى فلسطين، وأكمل مؤامرته وحبكها برفضه قرار وقف القتال ليظهر مصر فى صورة المتخاذلة ويهدر ما قدمته من تضحيات فى هذه الحرب كانت معروفة للجميع، وكما حدث فى حرب فلسطين من امتناع الجيش الأردنى عن خوض المعركة إلى جانب الجيوش العربية، بل وأخلى الأرض لليهود وعقد معهم معاهدة أمن واتفاق من وراء ظهر كل الجيوش العربية المشتركة فى المعركة، ولم يستح

الملك عبـد الله ملك الأردن آنذاك فيمـا بعد من من الإدعـاء بأن الجيش الأردنى هو الذى حارب وأنه ينتصر وأن الجيش المصرى هو الذى لم يحارب. رغم أن الجميع دمغه بالخيانة، وقرر كل المراقـبين أنه لولا هذه الخيـانة ولولا تخلى بعض الجيوش العـربيةعن التزامـاتها المتفق عليها قـبل بداية الحرب ما كانت انتصرت إسـرائيل ولما ضاعت فلسطين ولما نجحت المؤامرة الموضوعـة لتثبيت أقدام إسـرائيل فى المنطقة لتكون رأس حربة تهدد الأمـة العربية وتنفذ المخططـات الواضحة فى المنطقـة، فكما رفضت الأردن دخـول القوات العـربية إلى أراضيهـا للدفاع عنها ضد إسـرائيل فى حرب فلسطين رفضت أيضـا دخول أية قوات إلى أراضــيها فى مؤامرة ٦٧ طبقا لما كان متفقا عليه. وهذا أمـر ثابت فى محاضر الاتصالات بعـد المعركة. وزاد مـوقف الأردن المشبوه بعـد حرب ٥ يونيو ما جـاء فى كتاب مـؤامرة الصمت الذى صدر عن حرب ١٩٦٧ وماجاء فى كتـاب الانفجار لمحمد حسنين هيكل من تأكيد دور الأردن المريب ـ ودور الملك حسين بـالذات ـ فى اندلاع الحرب والتأكيد من أنه كان على علم بتـفاصيل المخطط الإسرائيـلى الأمريكى لسحب الجيش المصـرى إلى حرب يكون فيها القضاء على جمال عبد الناصـر وعلى جيشه، وأنه استطاع أن يقوم بمهارة عالية بدور مزدوج تظاهر فـيه بالتعاون مع العـرب فى حين أنه يعد العدة مع أمـريكا وإسرائيل لانجاح مخططاتها، ويـوم أن تذاع الوثائق سيدمغ بالخيانة كما حـدث للملك عبد الله فى حرب فلسطين.

• بعد الهزيمة واجه عبد الناصر ألغازا وأسرارا لم يستطع حل رموزها

من الألغـاز والأسرار التى واجهها عبد النـاصر بعد هزيمة ٥ يونيو ١٩٦٧ ولم يستطع حل رموزها أو معرفة حقيقتها موقف الاتحاد السوفيتى ـ حليفه الأول وموقف بعض الدول العربية وما جرى من تقصير فى أداء القوات المسلحة. حتى أن البعض اعتقد أنه وصل إلى حد الخـيانة. فقد اتضح من مـوقف الاتحاد السوفيـتى أنه لم يكن الحليف الذى يمكن أن يعتمد عليه، وأنه ليس فى مستوى الولايات المتـحدة الأمريكية حليفة إسرائيل. فالولايات المتحدة كحليف لإسرائيل تكشف أوراقها أمامهـا ولاترفض لها طلبا مهما كان شاذا أو غير مقبول. فى حين أن الاتحاد السوفيتى لم يلب طلبات مـصر وهى تخوض معركتها الشرسة على رمال سيناء مع جيش إسرائيل المزود باحدث الأسلحة فى الترسانة الأمريكية، والعليم بكل الأسرار العسكرية المستحدثة.

أى أن أمريكا كـانت تمد إسرائيل بأحـدث سلاح لديها، والاتحـاد السوفـيتى يضن بمد مصر بأحدث مـا لديه من سلاح ـ حتى السلاح المتخلف الذى كان يمـد به مصر لم يلب كل احتيـاجاتها منه ـ وفوق هذا كله أن الاتحاد السـوفيتى وقع فى المصيدة بقصـد أو بغير قصد أو باتفاق مسبق مع الذين خططوا للمؤامرة فى زمن طويل بعناية وكفاءة، ولم يتخلوا عن مؤامرتهم بعد الهزيمة. بل أعدوا العدة للسير فيها إلى نهايتها حتى يتحقق لهم هدفهم الأساسى منها، وهو إرغـام الدول العربية للجلوس على مائدة المفاضـاوت لينفذوا شروط إسرائيل كمنتصر فى الحرب. فالشك قائم فيمـا حمله السوفيت إلى عبد الناصر قبل وقوع الكارثة من أن هناك هجوما إسرائيليا حقيقيا على سوريا لابد أن تتصدى له مصر، والشك قائم فى اتفاق الولايات المتحدة والاتحاد السوفيـتى على طلبهما من مصر ألا تكون البادئة بالعدوان فى فـجر يوم المعركة ـ كمـا جاء على لسان السفـيرين الأمريكى والسوفـيتى فى مقابلتـهما لعبـد الناصر كل على حدة، وصدع عـبد الناصر بأمرهمـا، ولكنه فوجىء فى صباح ذات اليوم بالطائرات تركب المطارات المصرية دفعة واحدة وتدمر سلاحها الجوى عن آخره باقـتدار قبـل البدء فى المعركـة. وهو يعطى ظلالا من الشك، ولكنه لم يتـأكد بأية

وثائق بعده. وما حدث من مناقشات مع الاتحاد السوفيتى فى موسكو، والتى كان بطلها العربى الرئيس الجزائرى هوارى بومدين وما حدث من حوارات مع الاتحاد السوفيتى فى القاهرة، وكان المحاور العربى فيه هو جمال عبد الناصر يؤكد أن الاتحاد السوفيتى لايريد أن يتورط مع العرب والوقوف ضد أمريكا بسبب العرب، بحجة أن هذا سيكلفه حربا نووية ضارية مهلكة ليس لمنطقة الشرق الأوسط فحسب. وإنما لسائر دول العالم، وأنه ليس على استعداد لذلك فى حين أن أمريكا على نقيض الاتحاد السوفيتى كانت على استعداد لخوض أية حرب مهما كانت مآسيها وضحاياها من أجل الإبقاء على إسرائيل قوية تمتلك من السلاح ما يفوق بكثير ما يمتلكه العرب، وأن أمريكا ستهب لنجدتها بكل إمكاناتها وقدرتها إذا ما تألب عليها العرب. فكما هو ثابت فى وثائق محاضرات هذه المناقشة والحوار، والتى كشف عنها محمد حسنين هيكل فى كتابه الانفجار ١٩٦٧ يؤكد هذه الحقيقة.

وهذا كان اللغز الأول الذى يحير عبد الناصر فى وقت قد عقد العزم على تحديث قواته المسلحة بعد الهزيمة وأن اعتماده الكلى فى هذا الأمر لابد أن يعتمد على الاتحاد السوفيتى بعد أن تهدمت كل جسوره مع الولايات المتحدة والغرب بأسره. وهناك حقيقة أخرى ظهرت جلية فى هذه المناقشة والحوار. هى أن الاتحاد السوفيتى قد عقد العزم على الاستفادة من الهزيمة لصالح مخططاته السياسية الرامية إلى الحصول على قواعد عسكرية فى المنطقة فى مواجهة القواعد العسكرية الأمريكية التى حصلت عليها أمريكا فى المنطقة بالفعل، وهو ما وضع عبد الناصر فى حرج كبير. فهو المنادى بتدمير القواعد العسكرية الأمريكية فى المنطقة؟ فكيف يقبل أن يكون للسوفييت قاعدة عسكرية فى مصر. وثمة هدف أخر أراد السوفييت تحقيقه بعد الهزيمة وهو ألا تكون هذه الهزيمة سببا فى ارتكابه ما يورطهم فى النزاع مع أمريكا، وقد اتضح ذلك من رد رئيس الدولة السوفيتى بودجونى فى حواره مع عبد الناصر عندما اشتكى له من أن الأسطول الأمريكى السادس الذى لعب دورا أساسياً فى المعارك الأخيرة كان يعمل واثقا من قواعده وخطوط مواصلاته فى حين أن الأسطول السوفيتى كان تائهاً فى البحر مثل البراميل العائمة الشاردة إلى درجة أن بحارته

لايجدون أرضا ثابتة يستريحون عليها فى أجازاتهم وإنما على كل بحار منهم أن يقضى خدمة ستة شهور متواصلة فوق الموج حتى تتاح له فرصة العودة للراحة فى أحد موانى البحر الأسود. ولما رد عليه عبد الناصر وعرض عليه ترحيبه بأن يقضى البحارة السوفييت أجازاتهم فى الموانى المصرية من الإسكندرية إلى بورسعيد كان رد بودجورنى على الفوز بأنه .لاداعى لبورسعيد لأنها قريبة للخطوط الإسرائيلية. وهذا قد يسبب مشكة، وكان هذا الرد موضع استغراب من عبد الناصر. ولما حاول بودجورنى فى منافشاته الحصول على قاعدة سوفيتية فى الإسكندرية وفى مرسى مطروح وإعطاء القوات السوفيتية الرابضه فى هذه القاعدة حق رفع العلم على مقرها حتى تكون فى مأمن، وجاء الرد على عبد الناصر ليبدى رأيه فيما سمع قال: إن الاتحاد السوفيتى يطلب قاعدة بحرية فى مصر وهذا مخالف لمبادئها ومع ذلك فهو مستعد للموافقة عليه إذا كان الاتحاد السوفيتى على استعداد لأن يتحمل مسئولياتنا القتالية فى المعركة القادمة وأنه قادر أن يقنع الشعب المصرى بقبول هذه القاعدة على هذا الأساس. إذ إن القاعدة فى هذه الحالة تكون خدمة للمعركة وغيرها تكون خدمة للاستراتيجية السوفيتية، وما فهمه عبد الناصر من النقاش أن الاتحاد السوفيتى لايريد أن يتحمل مسئوليات قتالية باعتبار أن ذلك سوف يؤدى حتما إلى مواجهة مع الأمريكيين. وأضاف عبد الناصر: إذا كان بودجورنى قد خشى من نزول بحارة الأسطول السوفيتى فى بورسعيد فى أجازة لأن بورسعيد قريبة من الخطوط الإسرائيلية فإنه أى عبد الناصر لايتصور أن يكون السوفييت مستعدين بقاعدة فى الإسكندرية لمهام قتالية مع مصر وحسم الموقف بترحيبه بقضاء البحارة لأجازاتهم فى مصر، ورفضه القاطع إعطاء السوفييت قاعدة عسكرية على أرض مصر. لأن ذلك معناه بطريقة أو بأخرى أنه يعطى للأمريكان ما أرادوه، وهو أن يظهروا مصر كدولة عميلة للاتحاد السوفيتى وهذه المواقف من الاتحاد السوفيتى حيرت عبد الناصر، وأظلمت الطريق أمامه فى محاولة استعادة الكرامة المصرية بعد الهزيمة. فحليفه الذى كان يعقد الأمل على مساعدته ليس مخلصا لهذه المساعدة، ولكن عبد الناصر بسبب حرصه على غسل عار الهزيمة التى أدت إلى احتلال أراض مصرية وعربية وفلسطينية استعان بالمستشارين، ورضخ لبعض شروط

السوفييت على أمل أن يقدموا له من المساعدة ما يحرر أرضه وأرض العرب، ومنع إسرائيل من احتلال الضفة الغربية وضمها إلى أراضيها. فقد كان فى رأيه إذا عادت مصر إلى ميدان القتال فلابد أن تعمل أولا على إقامة توازن دولى لمواجهة الأزمة. فإن الاتحاد السوفيتى يصبح أمرا أساسيا. فلن يكون لها مصدر للسلاح سوى السلاح السوفيتى وأن وقوف السوفييت إلى جانب مصر والعرب يخلق التوازن الدولى للخروج من المشكلة. ولكن قد اتضح من اتصالنا معهم فى أعقاب الهزيمة أن لهم مصالح فى المنطقة يريدون المحافظة عليها ويريدون زيادتها - فى نفس الوقت - باستغلال الظروف الطارئة بشرط عدم تورطهم مع الأمريكان، ونحن لانريد منهم سوى أن يتفهموا جيدا حقيقة موقفنا، ويعرفوا أنه إذا ضاعت المنطقة ودخلت فى حضن الأمريكان فهم أيضا سوف يخسرون موقفهم العالمى كله. ولكن السوفييت لم يدركوا كل هذه الحقائق وغلبوا رغبتهم فى عدم التورط مع الأمريكان على ما سواها من الحقائق التى طرحها عبد الناصر فى تخفيف تحالفه معهم. خاصة بعد أن رفضوا مده بأسلحة هجومية وأصروا على مده بالأسلحة الدفاعية فقط - اضطر مجبرا وفى حضور كل الزعماء السوفييت فى مباحثاته معهم فى موسكو أن يعلن قبوله لمبادرة روجرز، وكان هذا تحولا كبيرا فى موقفه هز كل الاستراتيجيات وأدخل المنطقة فى مرحلة خطيرة لايمكن معرفة نتائجها وتداعيها عما إذا كان ذلك فى صالحهما أم ضد هذه المصالح.

تنبأ عبد الناصر بواقع مستقبل المنطقة على ضوء دراسته لعوامل هزيمته

قبل معركة يونيو كان رصيد عبد الناصر فى علاقاته العربية صفرا، وقد كان لذلك تأثيره الكبير على سير المعركة. بل ربما كان أحد الأسباب الرئيسية للهزيمة المنكرة التى منيت بها ثورته وشعبه، فلم يغفر هؤلاء العرب له معاركه الضاربة منهم التى وصلت إلى حد سبابهم وشتمهم بأفظع الشتائم التى لايمكنهم نسيانها أو تناسيها، فلم ينسوا له أنه قسمهم إلى عرب أمريكان وعرب إنجليز، واتهامه لهم بأن ولاءهم لاسيادهم من الأمريكان والإنجليز أكثر من ولائهم لأمتهم العربية وشعوب بلادهم، وهو أمر أثار شعور الجماهير ضدهم، وثاروا عليهم ثورات عارمة أتت أكلها فى البعض منهم وأسقطت عروشهم وزلزلت عروش الآخرين حتى كادت تهوى تسقط ولكن هزيمته الشنيعة فى حرب يونيو أنقذتهم ومدت فى عمر عروشهم، ومن هناكانت شماتتهم فى هزيمته أكثر من شماتة الغرب والولايات المتحدة الأمريكية الذين خططوا مع إسرائيل للتخلص من عبد الناصر والقضاء على ثورته. التى قلبت الموازين وغيرت المعادلات وأصابت مصالحهم فى المنطقة بأضرار بالغة، وهزت ولاء دول المنطقة لهم. بل إن بعض هذه الدول تخلى نهائيا عن هذا الولاء وأعطاه للاتحاد السوفيتى - الذى كان يسعى فى هذا الوقت لزلزلة منطقة الشرق الأوسط من تحت أقدام الغرب واتخاذ مواقع ثابتة بها يهدد الغرب بها أو يساوم عليها، وقد نجحوا فى ذلك إلى حد كبير. فمصر وسوريا والجزائر وغيرها توطدت علاقاتهم مع الاتحاد السوفيتى إلى حد أزعج الغرب والولايات المتحدة. ولكن هذه العلاقات ظلت فى نطاق الصداقة والتحالف فقط، ولم تتحول إلى درجة التعاون الاستراتيجى وعقد اتفاقيات الدفاع المشتركة مع الاتحاد السوفيتى كما هو حادث بين إسرائيل والغرب والولايات المتحدة. التى فتحت ترساناتها العسكرية لإسرائيل إبان حرب يونيو، وأرسلت لها سفن التجسس الأمريكية الأكثر حداثة وتطورا لتتمركز فى البحر الأبيض المتوسط تمدها بصور لتحركات القوات العربية ومواقعها العسكرية. مكنتها من تدمير هذه القوات والمواقع فى اللحظات الأولى لنشوب الحرب، وأكسبتها المعركة فى دقائقها الأولى، بينما الاتحاد السوفيتى لم يقم بمثل هذا الأمر إلا بعد انقشاع غبار المعركة ووقعت الهزيمة، وقد عبر عبد

الناصر عن مرارته الشديدة من الموقف السوفيتى عندما قدم السوفيت له صورا لمطارات سيناء التقطها قمرهم الصناعى بعد المعركة. عندها علق لهم بقوله «الآن تجيئون لى بصور لمطارات سيناء بعد أن احتلها اليهود؟ وسألهم : لماذا لم تعطونا هذه الصور من قبل عن مطارات إسرائيل قبل بدء المعركة؟ وهنا استجمع فى ذاكرته مجمل المواقف السوفيتية المتخاذلة منه قبل المعركة وبعدها، ومنها على سبيل المثال لاالحصر تلكؤهم فى إمداده بمائة طائرة كان قد طلبها منهم يوم ٦ يونيو ثانى أيام المعركة، ولكنهم عادوا بعد ذلك ووعدوه بتلبية كل طلباته من السلاح. وأضاف إلى ذلك ما أدهشه حقا من موقفهم عندما طلبوا منه ـ والجمعية العامة ومجلس الأمن يبحثان قضية الشرق الأوسط بعد المعركة ـ تقديم تنازلات لايمكن القبول بها حيث إنها كانت التنازلات التى يطالب بها الأمريكان تنفيذا لمخططهم المرسوم الرامى إلى إخراج مصر من حلبة الصراع مع إسرائيل، هذا ما أعلن عنه من مواقف الروس المتخاذلة، وما خفى يبدو أنه كان أعظم وأشنع وأفدح. فلو لم يكن هذا ما أفصح عنه عبد الناصر عن أن تنحيه عن السلطة لم يكن مدفوعا بالعواطف وحدها وإنما كانت عنده اعتبارات عملية وجزء منها متعلق بموقف الروس.

على أنه طبقا لما ورد من تقييم عبد الناصر لموقف وسياسية الروس من واقع ما ورد على لسانه من عبارات فى محاضر لقاءاته بالقادة السوفيت فى القاهرة بعد المعركة، وفى مؤتمر القمة العربية فى الخرطوم الذى عقد فى أعقابها يلمح دون أدنى عناء أنه كان يستشعر بما سيجد من أحداث فى المنطقة ويتنبأ بها. ففى هذه المحاضر جاء على لسانه أن الروس كانوا فى حالة تردد وضياع فى مواقفهم لأحداثها، وكانوا منكمشين، والأمريكان فى حالة انفلات، واعترف بخطئه بعدم معرفته أو تقديره لهذا التغيير الواضح فى الميزان الدولى، وأنه لم يحسب حسابا دقيقا لهذا التغيير، وكان ذلك أحد الأسباب الرئيسية ـ بل أهمها على الإطلاق فى هزيمته. كما أنه ثابت فى هذه المحاضر التى نشرها محمد حسنين هيكل فى كتابه ١٩٦٧ «الانفجار» أنه قال لبودجرنى خلال زيارته للقاهرة صراحة ـ إنهم أى الروس لم يقدروا حتى الآن أن ضرب الدول غير المنحازة هو خطوة فى سياسة الأمريكان للانفراد بالسيطرة على العالم. وإذا وقفنا نحن فسوف يزداد الضغط عليهم، وسيصل إلى

بنيـة العالم الثـالث، ثم ينتقل إلى دول أوروبـا الشرقـية، ثم يدخلون عليـهم فى بلادهم ذاتها. وفى مكان آخـر من هذه المحاضر قـال عبد الـناصر للروس إنهم سوف يخـسرون الحرب الباردة حـتى وإن كان لديهم مليون قنبلة ذرية. وهى لن تستعـمل. وهكذا كان ما جـاء على لسان عـبد الناصـر فى عام ١٩٦٧ يتحـقق اليوم فى نهايـة الثمانينـيات وبداية التسعينيات ـ أى بعد ٢٣ عاما فقد هبت رياح عاتية على الشرق اقتعلت مبادئها الاشتراكية والشيوعية من جذورها فى الاتحاد السـوفيتى الأم وفى دول أوروبا الشرقية، وسقطت نظم الحكم الديكتاتورية الشـمولية بها، وحلت مـحلها نظم ديمقـراطية تحترم حـقوق الإنسان وتبيح له حرية التعبير عن آلامه وآماله تلك الحرية التى كانت مكبوتة تماما فى تلك النظم. بينما انفردت الولايات المتحـدة الأمريكية بالسيطرة وحدها على مصـائر العالم دون منافسة حقيـقية من الاتحاد السوفـيتى الذى كاد يتقصى مـن هذه السيطرة ويحجمهـا، وأصبحت الولايات المتحدة الأمريكية تنفرد وحدها بوضع النظام الجديد لعـالم ما بعد التغيير الخطير، وتنفرد وحدها بمواجهة أحداث العالم تجمعه عندما تشاء وتحركه لتنفذ رغباتها دون قدرة أى دولة للتصدى لها، وخير مـثل على هذا ما تم بشأن أزمة الخليج التى ترتبت وتخلفت عن احتـلال العراق للكويت، وكـما تنبأ عـبد الناصـر بمستقـبل العلاقة بين الـقوتين الأعظم الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى وصدقت نبـوءاته بعد سنوات صدقت نبوءاته أيضاً فيما يختص بمستـقبل أحداث منطقة الشرق الأوسط. فمن واقع تقـييمه للهزيمة بالنـسبة لمصر ودول هذه المنطقة جاء فى أقـواله مطالبته بالضغط على الروس من الدول العـربية التى لها علاقات وطيدة مـعهم، ومن الدول غير المنحازة، وكل دول آسيا وأفريقـيا كما طالب بأن يتحرك إخوانه فى السعودية فى قناة وضع علاقاتهم وغيرهم مع الأمريكان موضع الاختبار لاسترداد ما ضاع من أرض عربية فى معركة يونيو الخاسرة. وقال إننا نحتاج إلى فترة مـا بين سنتـين إلـى ثـلاث سنـوات لكى نعـود إلى معركـة كبـيرة واسعـة النطاق لإزالة آثار العدوان، وأنه ينـبغى ألا تمر الفترة الحالية فى سكون دون حـركة، وإنما يجب أن نشحنها باشتـباكات محـددة لتسخـين الجبهة ولكسـر حاجز الخـوف لدى قواتنا الذى تخلف عن الهزيمة. كما أن هذه الفـترة لابد أن نغطيها بعمل سياسى نشيط يقنع أصدقاءنا ـ وأولهم

الاتحاد السوفيتى ـ أننا فعلنا كل شىء من أجل حل عن طريق الأمم المتحدة والاتصالات الدولية، ولكنه لم يكن واثقا فى جدوى الحل السياسى. إذا لم يكن مغلفا بقوتنا وقدرتنا على تحرير أرضنا، وأنه لابد من معركة تثبت فيها هذه القوة تلك القدرة، وهو ما حدث بالضبط فبعد سنوات الاستنزاف والتحرك السياسى الداعى فى الأروقة الدولية كانت معركتنا المظفرة فى أكتوبر عام ١٩٧٣ أى بعد ستة سنوات من الهزيمة التى مسحنا بها عار الهزيمة، ولفتنا نظر العالم بها إلى قضايانا وضرورة حلها حلا عادلا دائما شاملا. والا أننا ضيعنا كالعادة بخلافات هامشية شبت بيننا عطلت حصولنا على حقوقنا كاملة، وأعطت لأعدائنا فرصة استخدامها كدليل على أننا شعب يرفض السلام متعطش للحرب، على أن الحسنة الوحيدة التى استفاد بها عبد الناصر من الهزيمة أنه تخلى عن اتهاماته وشتائمه، وقدر مواقف الدول العربية خير تقدير وقدر التزاماتها وارتباطاتها نجت من حملته عليهم، بل وتخلى عن سياسة المجابهة لجمع شمل الموقف لمواجهة المواقف المتردية التى ترتبت على الهزيمة. فغفر لعدد منهم مواقف حامت حولها الشبهات، وأفسح صدره للاستماع إلى وجهات نظرهم ـ حتى ولو كانت مخالفة لوجهة نظره. يناقشهم ويحاورهم حتى يقنعوه أو يقنعهم على استمرار العلاقات بينهم بهذا الحوار وتلك المناقشة ما دامت تلك المناقشات تصب فى قنوات أمتهم العربية من محنتهم، ولهذا حديث آخر بالتفصيل فى محاولة لتقييم تلك المواقف.

أعد عبد الناصر لحرب استنزاف طويلة

تمهد الطريق لحرب تغسل عار هزيمته

لعبد الناصر فضل كبير في إنجاح حرب أكتوبر التي غسلنا بها عار هزيمتنا في يونيو عام ١٩٦٧ وأثبتنا بها أننا قادرون على قطع ذراع إسرائيل الطويلة في الحرب التي كانت تتباهى وتعلن للعالم أن العرب بعد هزيمة يونيو تحولوا إلى جثة هامدة لاخوف منها. وأن الروح لن تدب فيها من جديد قبل خمسين عاما قادمة. وغيرنا بها الاستراتيجية الإسرائيلية القائمة على استخدام القوة لفرض السلام الذى تريده علينا. وهو سلام أقرب إلى الاستسلام، وأجبرناها على تغيير هذه الاستراتيجية ليحل محلها استراتيجية جديدة تقوم على أساس أن السلام لها لابد أن ينبع من الدول العربية وحدها، ولن يتم ذلك إلا بإسقاط وسيلة الحرب كوسيلة لاقرار سلام عادل شامل دائم في منطقة الشرق الأوسط، بعد أن ثبت لديها أنها لن تستطيع فرض الاستسلام علينا بالحرب. حتى ولو فتحت الولايات المتحدة الأمريكية ترساناتها العسكرية على مصراعيها لإسرائيل، وتلقت المزيد من الدعم المعنوى والمادى والعسكرى والاقتصادى من كل حلفائها التقليديين في الغرب بفضل اللوبى اليهودى في تلك الدول ونشاطه المكثف. وعليه فإنه إذا كان عبد الناصر قد منى بهزيمة ثقيلة. فحسبه أنه أعد للنصر الذى أحرزناه في حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ أى بعد ستة سنوات من هذه الهزيمة الشنيعة، فقد واجه المسئولية باقتدار ومقدرة أدهشت كل المراقبين وأذهلت إسرائيل نفسها، فلم يكد أن يتولى المسئولية من جديد بعد تنحيه حتى أعاد تنظيم القوات المصرية وتقوية الجبهة الداخلية وجمع الصف العربى كما لم يجمعه من قبل، وحرك الدبلوماسية المصرية في الأروقة الدولية لتثبيت الحق العربى والحق الفلسطينى في الضفة الغربية وقطاع غزة اللتين احتلتهما إسرائيل في الحرب، وأعطى الإشارة لكل الأطراف العربية بأن تستخدم علاقاتها في المحافل الدولية التى كان من نتيجتها صدور قرار ٢٤٢ من مجلس الأمن الذى قرر حتمية الجلاء عن الأراضى التى احتلتها إسرائيل في الحرب. وما زال هذا القرار أساس أية تسوية للنزاع العربى الإسرائيلى إلى يومنا هذا، وما

زالت إسرائيل تحـاول أن تفسر بنود هـذا القرار لصالحـها. ولكن المجتـمع الدولى ما زال يرفض تلك التفسيرات ويمارس هذا المجتمع ضغطه على الولايات المتحدة الأمريكية لتقف على الأقل على الحياد وتتخلى عن موقفهـا المنحاز كلية لإسرائيل ظالمة أو مظلومة. إعمالاً بكل المواثيق والاتفـاقات والقرارات الدوليـة التى صدرت، والتى تدين إسـرائيل بالعدوان وتطالبها بالجلاء عن الأراضى العربية التى احتلتها بالقوة مخالفة لكل هذه القرارات. وما زال المجتمع الدولى يضـغط على الولايات المتحدة للتخلى عن اسـتخدام حقها فى الفـيتو لوقف قرارات مجلس الأمن والجـمعية العامة للأمم المتـحدة التى تدين إسرائيل، وتطالب بتوقـيع العقوبات عليهـا التى جاءت فى ميثـاق الأمم المتحدة الموقع عليه من كـافة الدول الأعضاء ومن إسرائيل نفسها.

كـان عزيزا على عـبـد الناصـر الذى وهب نفسـه وثورته لتـحريـر الشعـوب من يد الاستعمار، وفى قمة نجاحه وبعد أن تحرر العديد من الشعوب العربية والإفريقية، وبعد أن تزايد العداء للاستعـمار وأصبح يطارد فى كل مكان، وتتعرض مصالحه لهـجمات الثائرين وتسقط قلاعـه الواحدة بعد الأخرى، وتنسف قـواعده التى كان يرتكز عليهـا، كان عزيزا عليه والمد الثـورى يغطى مساحـات شاسعـة فى بلدان العالم أن ينقض عليـه الاستعـمار ويحتل ثلث بلده بالإضافة إلى أرض عربـية أخرى. لذلك لم يأل جهده فى إزالة آثار هذا العدوان بسرعة عن طريق عدة قنوات. أولها إعادة الـفاعلية للقوات المسلحة ورفع روحها المعنوية التى أحبطتها الهزيمة. ولتحقيق هذا الهدف أقصى قادتها الذين منوا بهذه الهزيمة، وأقال الوزارة. وكان هدفه من ذلك امتصاص الصـدمة الكبيرة التى أصابت الشعب وهزت الجبهة الداخلية وقد راعى فى اختـياره للقادة الجدد للقوات المسلحة ووزراء الوزارة الجديدة تميزهم بالكفاءات العاليـة التى تتطلبها هذه المرحلة. ثم تفرغ بعد ذلك لتعـويض ما فقدته القوات المسلحة من سلاح لتعود به فاعليتهـا وروحها المعنوية التى حطمتها الهزيمة. ولم يكن أمامـه سوى الاتحاد السـوفيتى للحـصول على السـلاح المطلوب فباب الغـرب مغلق بالضبة والمفتاح. لأنه والولايات المتحدة لهم تخطيط مرسوم قبل الحرب وبعدها يمنع تماما مساعدة عبد الناصر، ومن هذا كان قرار عبد الناصر إيفاد الرئيس الجزائرى هوارى بومدين على رأس وفد من الرؤسـاء العرب إلى موسكو مـرتين. كانت المرة الأولى للعـتاب على

موقف الاتحـاد السوفـيتى المشـين خلال الحـرب، والمرة الثانيـة كانت لجس نبـض الاتحاد السوفيتى فيـما يختص بإعادة تسليح الجيش المصرى، وربما يقصد الجيـوش العربية لإشعار إسرائيل على أقل تقدير أننا لم نستسلم للهزيمة، وأننا نعد لجولات أخرى لاسترداد كرامتنا المهانة، وحدد عبـد الناصر تخطيطه والمطلوب من الاتحاد السوفيتـى، وأعلن شعارين كانا من أهم الشعارات التى أكسبـتنا المعركة فيما بعد. الأول «ما ضاع بالقـوة لايسترد بغيرها» والثانى. أنه ليس هناك محظور فى العـمل السياسى. وتطبيقا لهـذين الشعارين ثبت قرار وقف إطلاق النار حـتى لايعطى فرصة لإسـرائيل أن تنتهـز فرصـة ضعف أسلحـة دفاعنا وتقوم بغارات تحطم بها منشأتنا الداخلية ومرافقنا الحـيوية، وفى الوقت نفسه تسخين جبهة القتال على خطوطنا مع إسرائيل باشـتباكات محدودة تحرز فيهـا قواتنا بعض النصر لكسر حاجز خوفنا من الدخول فى معركة جديدة مع العدو، وعندما تصل إلينا شحنات السلاح التى تم الاتفاق عليها مع الاتحـاد السوفيتى نقوم بحرب استنـزاف طويلة تستغرق من سنة إلى ثلاث سنوات تمهد إلى المعركة الكبيـرة. وهذا هو ما حدث إلى أن وافته المنية فى ٢٨ سـبتـمـبر عـام ١٩٧٠ وقد أبلت قـواتنا المسلحـة بلاء حـسنا فى هذه الفـترة فى حـرب الاستنزاف، وتخللتها معـارك مشرفة منها معركة رأس العش على الضـفه الشرقية للقناة، ومنها إغراق المدمرة الإسرائيلية إيلات بصاروخ مصرى، ولو امتد العمر بعبد الناصر لخاض المعركة التى خـاضها الرئيس الراحل أنور السادات بعده ولحـل النزاع العربى ـ الإسرائيلى بالسلام مثلما فـعل السادات بعد أن أيقن من تعامله مع الاتحاد السوفـيتى عشرات السنسن أنه لن يدخل حـربا إلى جانبنا ضـد الولايات المتحـدة الأمريكية. وكـانت بداية هذا الخط قبوله لمبادرة روجرز ومـواجهة القادة السوفيت فى عقر دارهم بقـراره هذا. كما أيقن عبد الناصر أن حرب الاستنزاف والمعركة الواسعة بعدها لن تؤتى ثمارها إلا بتضامن عربى مرن يبلور قدرا من الإرادة العربية تستخدم فيها إمكانيات الدول العربية الحليفة للاتحاد السوفيتى يمكن ويهيئ المناخ للنصر فى المعركة. ويعطى فى الوقت نفسه فرصته للمجتمع الدولى أن يتخذ قـرارا يؤكد حق العرب الثـابت فى الأراضى التى احتلتها إسـرائيل بالقوة. على أن تصب كل هذه المحاولات فى قـناة واحدة لمواجهـة المأزق الخطير الذى وضعت فـيه الدول العربية بلا اسـتثناء بعد هزيمة يونيـو. ولكى يتحقق هذا الهدف كـان لابد من تحاشى كل

بأمانة - وأرجوكم تبليغ مجلس الأمة الموقر أننى مقتنع بالأسباب التى بنيت عليها قرارى، وفى نفس الوقت فإن صوت جماهير شعبنا بالنسبة لى أمر لايرد، ولذلك فقد استقر رأيى على أن أبقى فى مكانى، وفى الموضع الذى يريد الشعب منى أن أبقى فيه حتى تنتهى الفترة التى نتمكن فيها جميعا من أن نزيل آثار العدوان، على أن الأمر كله بعد هذه الفترة يجب الرجوع فيه إلى الشعب فى استفتاء عام.

وإننى لأشعر أن النكسة لابد أن تضيف إلى تجربتنا عمقا جديدا، ولابد أن تدفعنا إلى نظرة شاملة وفاحصة وأمينة على عملنا. وأول ما ينبغى أن نؤكده بفهم واعتزاز - وهو واضح الآن أمام عيوننا، أن الشعب وحده هو القائد وهو المعلم وهو الخالد إلى الأبد.

والآن أيها الأخوة المواطنون فى كل مكان: أيديكم معى ولنبدأ مهمتنا العادلة وليمنحنا الله جميعا تأييده وهداه.

جمال عبد الناصر

مؤامرة يونيو ١٩٦٧ اشبه بمؤامرة فلسطين ١٩٤٨

اطراف عربية شاركت فى المؤامرتين

بمواقف وصلت إلى حد الخيانة

تسجيل ما حدث فى يونيو من تآمر على مصر وزعيمها جمال عبد الناصر لايمكن الإلمام بتفاصيله حاليا ـ رغم مرور ما يقرب من ٢٣ عاما على وقائعه وأحداثه ـ أو بالأحرى تسجيل حقيقة ما حدث لايمكن التوصل إليها ـ رغم مرور هذه الحقبة الطويلة من الزمن ذلك لأنه ما زال هناك العديد من المواقف يكتنفها الغموض الكامل، وما أزيح الستار عنه هو استنتاج وتحليل لايستند إلى وثائق وأسانيد تنفيه أو تؤيده.

والتاريخ وحده هو القادر على تسجيل حقيقة ما جرى فى هذا اليوم المشئوم عندما تنكشف إليه الوثائق والأسانيد التى لاتكذب ،والتى لاتترك الفرصة للاستنتاج والتحليل الذى يجوز عليه الصواب والخطأ، وإلى أن يسجل التاريخ الحقائق عارية دون اجتهاد فإن ما لدينا من محاضر ما جرى فى ٥ يونيو وما بعده ومن محاضر ماجرى فى حرب فلسطين عام ١٩٤٨ وما ألف من كتب وبحوث عن هاتين المؤامرتين يؤكد أن الشبه بينهما كبير، وأنه لولا بعض المواقف العربية المشبوهة التى وصلت إلى حد الخيانة ما نجحت المؤامرتان فى تحقيق أهدافهما المرسومة، وأن الفارق الوحيد بينهما أن مؤامرة فلسطين حققت كل أهدافها حيث حصلت إسرائيل على كل شىء ـ رغم أن القضية مازالت تقلقنا وتفرقنا كما فرقتنا فى عام ١٩٤٧ وعام ١٩٤٨ ويوم قرار التقسيم الذى رفضناه، ويوم الحرب التى خضناها بسبب رفضنا للتقسيم ورفضنا لقيام إسرائيل، وأما مؤامرة ٥ يونيو فلم تحقق كل أهدافها. فقد كانت تستهدف أمرين. الأول تدمير القوات المسلحة، والأمر الثانى: القضاء على عبد الناصر وقد نجحت فى تحقيق هدفها الأول، وفشلت فى تحقيق هدفها الثانى حيث بقى عبد الناصر وعدل عبد الناصر عن تنحيه بضغط الجماهير التى لم تقبل الهزيمة، ووضعت يدها فى يده لإزالة آثار هذه الهزيمة، وإحراز نصر يرد الكرامة العربية التى أهينت، وكان لها ما أرادت فى حرب أكتوبر المظفرة عام ١٩٧٣ التى قلمت

أظافر إسرائيل، وقطعت يدها العليا التى كانت تتفاخر بها بعد الهزيمة، ونحن الآن أمام أزمة طاحنة أخرى بسبب ما صنعه الرئيس العراقى صدام حسين بعدوانه على دولة الكويت المسالمة، والموقف العربى منها هو نفسه الذى حدث فى مؤامرة فلسطين ومؤامرة يونيو. انقسام وتشرذم أدى إلى تدويل الأزمة وأخرجها من المظلة العربية بسبب تعنت النظام العراقى وعدم انصياعه إلى تنفيذ ما طالبت به أغلب الدول العربية من ضرورة الجلاء غير المشروط من الكويت، وإعادة الشرعية إليها وإزالة كل الآثار المترتبة على العدوان. ثم يأتى بعد ذلك التفاوض والحوار حول ما يدعيه العراق من حقوق تاريخية له فى الكويت، ويقينى أنه مع انتهاء أزمة الخليج ستنكشف مواقف عربية أيدت صدام فى عدوانه وهى فى نيتها الخلاص منه ومن شروره وأطماعه وتوسعاته، وإن تأييدها له كان للف حبل المشنقة حول رقبته، وليس لإنقاذه ومساعدته للخروج من الأزمة سالما بجيشه وشعبه. وستضاف أزمة الخليج إلى سجل تآمر العرب على بعضهم الذى يفتح الطريق أمام التآمر الدولى عليهم جميعا بسبب تغليب البعض منهم أطماعهم الشخصية والذاتية والإقليمية على مصلحة أمتهم العليا الأمنية والاستراتيجية، وهو نفس ما حدث فى أعوام ١٩٤٧، ١٩٤٨، ١٩٦٧ بما يؤكد أننا العرب لانستفيد ولانريد أن نستفيد من دروس ما مر علينا من أحداث ونكبات وأزمات. إنما نقع فى نفس الأخطاء التى جرت علينا هذه النكبات والأزمات ،وردتنا إلى الوراء كلما حاولنا التقدم إلى الأمام.

هذه المقدمة وهذا الاستطراد كان ضروريا قبل الدخول فى موضوعنا الأصلى وهو ماذا فعل عبد الناصر بعد توليه المسئولية! بعد أن انقشع غبار المعركة، وهدأ زلزال الهزيمة؟ كان أول مشكلة جادة واجهت عبد الناصر هى الود الذى كان مفقودا بين الجماهير وقواته المسلحة؛ فكانت الجماهير تسخر منهم وتهين كرامتهم كلما شاهدوهم فى الشوارع أو فى أدوات النقل العام أو فى المنتديات والهيئات والمصالح الحكومية. حتى أن أفراد القوات المسلحة خلعوا زيهم العسكرى وارتدوا الزى المدنى ليتحاشوا إهانة الجماهير وسخريتهم منهم. فلم يجد عبد الناصر لوقف هذا الأمر الخطير إلا أن يعلن مسئوليته الكاملة عن الهزيمة واستعداده لأى جزاء يوقع عليه، حتى ولو تم شنقه فى ميدان التحرير وسارع إلى

تغيير كافة قادة القوات المسلحة الذين كانوا سببا مباشراً للهزيمة، وغير الوزارة بوزارة قادرة على دعم الجبهة الداخلية وامتصاص الهزيمة وإشاعة روح التضحية وتدريبهم لدخول معركة للثأر من الهزيمة. وفى الوقت نفسه أعلن عبد الناصر أن هناك تحقيقا يجرى مع هؤلاء القادة ومعاقبة الذى أهمل منهم فى تأدية واجبه العسكرى. كما بدأ فى إعادة تنظيم القوات المسلحة وتعويضها عن السلاح الذى فقدته على أرض المعركة. فكان عليه أن يواجه مشكلة أخطر كانت نتيجة لكل هذه التغييرات وهى مشكلة عبد الحكيم عامر ورجاله وما قيل عن إنهم يعدون لانقلاب - على رغم أن عودة المشير عامر إلى قيادة القوات المسلحة لابد أن تتم فى مقابل عودة عبد الناصر لقيادة الأمة هى المشكلة التى انتهت بوفاة المشير عامر أو انتحاره أو قتله. وسنعرض لتفاصيلها فيما بعد، المهم أن عبد الناصر بعد أن أعاد الانضباط فى الجبهة الداخلية والقوات المسلحة تفرغ للاتصال بأطراف كانت على اتصال بما حدث. سواء كانت هذه الأطراف دولية أو عربية. ومن المحاضر المسجلة لهذه الاتصالات والمقابلات تتبين حقائق تدمى القلب وتحز فى الفؤاد ويندى لها الجبين، فمنها تبين طعنة الصديق لصديقه، وطعنة العربى لأخيه العربى حقدا وكراهية، وقد أجرى عبد الناصر اتصالاته هذه وهو مجروح من الصديق التى تخلى عنه، ومن العربى الذى تظاهر بتأييده وهو يبطن له الغدر مسهلا مهمة الولايات المتحدة وإسرائيل اللذين أعلنتا تآمرهما عليه وعلى الأمة العربية بأسرها. وقد أثبتت حصيلة ما هو مسجل فى هذه المحاضر أن المؤامرة كانت شديدة الشبه بالمؤامرة التى تمت فى حرب فلسطين من العرب والأجانب الذين كانوا خلف إسرائيل. وكما حدث فى حرب فلسطين من امتناع الجيش العراقى عن تقديم المساعدة للجيش المصرى فى معركة النقب بحجته الشهيرة «ماكو أوامر» ثم ادعى العراق فيما بعد مسئولية مصر عن الهزيمة فى فلسطين، وأكمل مؤامرته وحبكها برفضه قرار وقف القتال ليظهر مصر فى صورة المتخاذلة ويهدر ما قدمته من تضحيات فى هذه الحرب كانت معروفة للجميع، وكما حدث فى حرب فلسطين من امتناع الجيش الأردنى عن خوض المعركة إلى جانب الجيوش العربية، بل وأخلى الأرض لليهود وعقد معهم معاهدة أمن واتفاق من وراء ظهر كل الجيوش العربية المشتركة فى المعركة، ولم يستح

الملك عبـد الله ملك الأردن آنذاك فيمـا بعد من من الإدعـاء بأن الجيش الأردنى هو الذى حارب وأنه ينتصر وأن الجيش المصرى هو الذى لم يحارب. رغم أن الجميع دمغه بالخيانة، وقرر كل المراقـبين أنه لولا هذه الخيـانة ولولا تخلى بعض الجيوش العـربيةعن التزامـاتها المتفق عليها قـبل بداية الحرب ما كانت انتصرت إسـرائيل ولما ضاعت فلسطين ولما نجحت المؤامرة الموضوعـة لتثبيت أقدام إسـرائيل فى المنطقة لتكون رأس حربة تهدد الأمـة العربية وتنفذ المخططـات الواضحة فى المنطقـة، فكما رفضت الأردن دخـول القوات العـربية إلى أراضيهـا للدفاع عنها ضد إسـرائيل فى حرب فلسطين رفضت أيضـا دخول أية قوات إلى أراضـيها فى مؤامرة ٦٧ طبقا لما كان متفقا عليه. وهذا أمـر ثابت فى محاضر الاتصالات بعـد المعركة. وزاد مـوقف الأردن المشبوه بعـد حرب ٥ يونيو ما جـاء فى كتاب مـؤامرة الصمت الذى صدر عن حرب ١٩٦٧ وماجاء فى كتـاب الانفجار لمحمد حسنين هيكل من تأكيد دور الأردن المريب ـ ودور الملك حسين بـالذات ـ فى اندلاع الحرب والتأكيد من أنه كان على علم بتـفاصيل المخطط الإسرائيـلى الأمريكى لسحب الجيش المصـرى إلى حرب يكون فيها القضاء على جمال عبد الناصـر وعلى جيشه، وأنه استطاع أن يقوم بمهارة عالية بدور مزدوج تظاهر فـيه بالتعاون مع العـرب فى حين أنه يعد العدة مع أمـريكا وإسرائيل لانجاح مخططاتها، ويـوم أن تذاع الوثائق سيدمغ بالخيانة كما حـدث للملك عبد الله فى حرب فلسطين.

• بعد الهزيمة واجه عبد الناصر ألغازا وأسرارا لم يستطع حل رموزها

من الألغـاز والأسرار التى واجهها عبد النـاصر بعد هزيمة ٥ يونيو ١٩٦٧ ولم يستطع حل رموزها أو .معرفة حقيقتها موقف الاتحاد السوفيتى ـ حليفه الأول وموقف بعض الدول العربية وما جرى من تقصير فى أداء القوات المسلحة. حتى أن البعض اعتقد أنه وصل إلى حد الخـيانة. فقد اتضح من مـوقف الاتحاد السوفيـتى أنه لم يكن الحليف الذى يمكن أن يعتمد عليه، وأنه ليس فى مستوى الولايات المتـحدة الأمريكية حليفة إسرائيل. فالولايات المتحدة كحليف لإسرائيل تكشف أوراقها أمامهـا ولاترفض لها طلبا مهما كان شاذا أو غير مقبول. فى حين أن الاتحاد السوفيتى لم يلب طلبات مـصر وهى تخوض معركتها الشرسة على رمال سيناء مع جيش إسرائيل المزود باحدث الأسلحة فى الترسانة الأمريكية، والعليم بكل الأسرار العسكرية المستحدثة.

أى أن أمريكا كـانت تمد إسرائيل بأحـدث سلاح لديها، والاتحـاد السوفـيتى يضن بمد مصر بأحدث مـا لديه من سلاح ـ حتى السلاح المتخلف الذى كان يمـد به مصر لم يلب كل احتيـاجاتها منه ـ وفوق هذا كله أن الاتحاد السـوفيتى وقع فى المصيدة بقصـد أو بغير قصد أو باتفاق مسبق مع الذين خططوا للمؤامرة فى زمن طويل بعناية وكفاءة، ولم يتخلوا عن مؤامرتهم بعد الهزيمة. بل أعدوا العدة للسير فيها إلى نهايتها حتى يتحقق لهم هدفهم الأساسى منها، وهو إرغـام الدول العربية للجلوس على مائدة المفاضـاوت لينفذوا شروط إسرائيل كمنتصر فى الحرب. فالشك قائم فيمـا حمله السوفيت إلى عبد الناصر قبل وقوع الكارثة من أن هناك هجوما إسرائيليا حقيقيا على سوريا لابد أن تتصدى له مصر، والشك قائم فى اتفاق الولايات المتحدة والاتحاد السوفيـتى على طلبهما من مصر ألا تكون البادئة بالعدوان فى فـجر يوم المعركة ـ كمـا جاء على لسان السفـيرين الأمريكى والسوفـيتى فى مقابلتـهما لعبـد الناصر كل على حدة، وصدع عـبد الناصر بأمرهمـا، ولكنه فوجىء فى صباح ذات اليوم بالطائرات تركب المطارات المصرية دفعة واحدة وتدمر سلاحها الجوى عن آخره باقـتدار قبـل البدء فى المعركـة. وهو يعطى ظلالا من الشك، ولكنه لم يتـأكد بأية

وثائق بعده. وما حدث من مناقشات مع الاتحاد السوفيتى فى موسكو، والتى كان بطلها العربى الرئيس الجزائرى هوارى بومدين وما حدث من حوارات مع الاتحاد السوفيتى فى القاهرة، وكان المحاور العربى فيه هو جمال عبد الناصر يؤكد أن الاتحاد السوفيتى لايريد أن يتورط مع العرب والوقوف ضد أمريكا بسبب العرب، بحجة أن هذا سيكلفه حربا نووية ضارية مهلكة ليس لمنطقة الشرق الأوسط فحسب. وإنما لسائر دول العالم، وأنه ليس على استعداد لذلك فى حين أن أمريكا على نقيض الاتحاد السوفيتى كانت على استعداد لخوض أية حرب مهما كانت مآسيها وضحاياها من أجل الإبقاء على إسرائيل قوية تمتلك من السلاح ما يفوق بكثير ما يمتلكه العرب، وأن أمريكا ستهب لنجدتها بكل إمكاناتها وقدرتها إذا ما تألب عليها العرب. فكما هو ثابت فى وثائق محاضرات هذه المناقشة والحوار، والتى كشف عنها محمد حسنين هيكل فى كتابه الانفجار ١٩٦٧ يؤكد هذه الحقيقة.

وهذا كان اللغز الأول الذى يحير عبد الناصر فى وقت قد عقد العزم على تحديث قواته المسلحة بعد الهزيمة وأن اعتماده الكلى فى هذا الأمر لابد أن يعتمد على الاتحاد السوفيتى بعد أن تهدمت كل جسوره مع الولايات المتحدة والغرب بأسره. وهناك حقيقة أخرى ظهرت جلية فى هذه المناقشة والحوار. هى أن الاتحاد السوفيتى قد عقد العزم على الاستفادة من الهزيمة لصالح مخططاته السياسية الرامية إلى الحصول على قواعد عسكرية فى المنطقة فى مواجهة القواعد العسكرية الأمريكية التى حصلت عليها أمريكا فى المنطقة بالفعل، وهو ما وضع عبد الناصر فى حرج كبير. فهو المنادى بتدمير القواعد العسكرية الأمريكية فى المنطقة؟ فكيف يقبل أن يكون للسوفييت قاعدة عسكرية فى مصر. وثمة هدف أخر أراد السوفييت تحقيقه بعد الهزيمة وهو ألا تكون هذه الهزيمة سببا فى ارتكابه ما يورطهم فى النزاع مع أمريكا، وقد اتضح ذلك من رد رئيس الدولة السوفيتى بودجونى فى حواره مع عبد الناصر عندما اشتكى له من أن الأسطول الأمريكى السادس الذى لعب دورا أساسياً فى المعارك الأخيرة كان يعمل واثقا من قواعده وخطوط مواصلاته فى حين أن الأسطول السوفيتى كان تائهاً فى البحر مثل البراميل العائمة الشاردة إلى درجة أن بحارته

لايجدون أرضا ثـابتة يستريحون عـليها فى أجازاتهم وإنما على كل بحـار منهم أن يقضى خدمة ستـة شهور متواصلة فـوق الموج حتى تتاح له فرصة العودة للراحـة فى أحد موانى البحر الأسود. ولما رد عليه عبد الناصر وعرض عليـه ترحيبه بأن يقضى البحارة السوفييت أجازاتهم فى الموانى المصـرية من الإسكندرية إلى بورسعيد كان رد بـودجورنى على الفور بأنه لاداعى لبورسعيد لأنها قريبة للخطوط الإسرائيلية. وهذا قد يسبب مشكلة، وكان هذا الرد موضع استـغراب من عبد الناصـر. ولما حاول بودجورنى فى منافشـاته الحصول على قاعدة سوفيـتية فى الإسكندرية وفى مرسى مطروح وإعطاء القوات السوفيـتية الرابضه فى هذه القاعدة حق رفع العلم على مقرها حتى تكون فى مأمن، وجاء الرد على عبد الناصر ليبدى رأيه فيما سمع قال: إن الاتحاد السوفيتى يطلب قاعدة بحرية فى مصر وهذا مخالف لمبادئها ومع ذلك فـهو مستعـد للموافقة عليه إذا كـان الاتحاد السوفيتى على اسـتعداد لأن يتحمل مسئولياتنا القتالية فى المعـركة القادمة وأنه قادر أن يقنع الشعب المصرى بقبول هذه القاعـدة على هذا الأساس. إذ إن القاعـدة فى هذه الحالة تكون خدمـة للمعركة وغـيرها تكون خدمة للاستراتيجية السوفيتية، وما فهمه عبد الناصر من النقاش أن الاتحاد السوفيتى لايريد أن يتحـمل مسئوليـات قتالية باعـتبار أن ذلك سوف يؤدى حـتما إلى مواجـهة مع الأمريكيين. وأضاف عبد الناصـر: إذا كان بودجورنى قد خشى من نزول بحارة الأسطول السوفيتى فى بورسعـيد فى أجازة لأن بورسعيد قريبة من الخطوط الإسـرائيلية فإنه أى عبد الناصر لايتصور أن يكون السوفييت مستعـدين بقاعدة فى الإسكندرية لمهام قتالية مع مصر وحسـم الموقف بترحـيبـه بقضـاء البحـارة لأجازاتهم فى مـصر، ورفـضه القـاطع إعطاء السوفيـيت قاعدة عسكريـة على أرض مصر. لأن ذلك معناه بطريقـة أو بأخرى أنه يعطى للأمريكان ما أرادوه، وهو أن يظهـروا مصر كدولة عميلة للاتحاد السـوفيتى وهذه المواقف من الاتحاد السـوفيتى حـيرت عبد الناصـر، وأظلمت الطريق أمامه فـى محاولة استـعادة الكرامة المصرية بعد الهـزيمة. فحليفه الذى كان يعقد الأمل على مسـاعدته ليس مخلصا لهذه المسـاعدة، ولكن عبد الـناصر بسبب حرصـه على غسل عار الهـزيمة التى أدت إلى احتـلال أراض مصرية وعـربية وفلسطينيـة استـعان بالمستـشارين، ورضخ لبـعض شروط

السوفييت على أمل أن يقدموا له من المساعدة ما يحرر أرضه وأرض العرب، ومنع إسرائيل من احتلال الضفة الغربية وضمها إلى أراضيها. فقد كان فى رأيه إذا عادت مصر إلى ميدان القتال فلابد أن تعمل أولا على إقامة توازن دولى لمواجهة الأزمة. فإن الاتحاد السوفيتى يصبح أمرا أساسيا. فلن يكون لها مصدر للسلاح سوى السلاح السوفيتى وأن وقوف السوفييت إلى جانب مصر والعرب يخلق التوازن الدولى للخروج من المشكلة. ولكن قد اتضح من اتصالنا معهم فى أعقاب الهزيمة أن لهم مصالح فى المنطقة يريدون المحافظة عليها ويريدون زيادتها ـ فى نفس الوقت ـ باستغلال الظروف الطارئة بشرط عدم تورطهم مع الأمريكان، ونحن لانريد منهم سوى أن يتفهموا جيدا حقيقة موقفنا، ويعرفوا أنه إذا ضاعت المنطقة ودخلت فى حضن الأمريكان فهم أيضا سوف يخسرون موقفهم العالمى كله. ولكن السوفييت لم يدركوا كل هذه الحقائق وغلبوا رغبتهم فى عدم التورط مع الأمريكان على ما سواها من الحقائق التى طرحها عبد الناصر فى تخفيف تحالفه معهم. خاصة بعد أن رفضوا مده بأسلحة هجومية وأصروا على مده بالأسلحة الدفاعية فقط ـ اضطر مجبرا وفى حضور كل الزعماء السوفييت فى مباحثاته معهم فى موسكو أن يعلن قبوله لمبادرة روجرز، وكان هذا تحولا كبيرا فى موقفه هز كل الاستراتيجيات وأدخل المنطقة فى مرحلة خطيرة لايمكن معرفة نتائجها وتداعيها عما إذا كان ذلك فى صالحهما أم ضد هذه المصالح.

تنبأ عبد الناصر بواقع مستقبل المنطقة على ضوء دراسته لعوامل هزيمته

قبل معركة يونيو كان رصيد عبد الناصر فى علاقاته العربية صفرا، وقد كان لذلك تأثيره الكبير على سير المعركة. بل ربما كان أحد الأسباب الرئيسية للهزيمة المنكرة التى منيت بها ثورته وشعبه، فلم يغفر هؤلاء العرب له معاركه الضاربة منهم التى وصلت إلى حد سبابهم وشتمهم بأفظع الشتائم التى لايمكنهم نسيانها أو تناسيها، فلم ينسوا له أنه قسمهم إلى عرب أمريكان وعرب إنجليز، واتهامه لهم بأن ولاءهم لاسيادهم من الأمريكان والإنجليز أكثر من ولائهم لأمتهم العربية وشعوب بلادهم، وهو أمر أثار شعور الجماهير ضدهم، وثاروا عليهم ثورات عارمة أتت أكلها فى البعض منهم وأسقطت عروشهم وزلزلت عروش الأخرين حتى كادت تهوى تسقط ولكن هزيمته الشنيعة فى حرب يونيو أنقذتهم ومدت فى عمر عروشهم، ومن هناكانت شماتتهم فى هزيمته أكثر من شماتة الغرب والولايات المتحدة الأمريكية الذين خططوا مع إسرائيل للتخلص من عبد الناصر والقضاء على ثورته. التى قلبت الموازين وغيرت المعادلات وأصابت مصالحهم فى المنطقة بأضرار بالغة، وهزت ولاء دول المنطقة لهم. بل إن بعض هذه الدول تخلى نهائيا عن هذا الولاء واعطاه للاتحاد السوفيتى - الذى كان يسعى فى هذا الوقت لزلزلة منطقة الشرق الأوسط من تحت أقدام الغرب واتخاذ مواقع ثابتة بها يهدد الغرب بها أو يساوم عليها، وقد نجحوا فى ذلك إلى حد كبير. فمصر وسوريا والجزائر وغيرها توطدت علاقاتهم مع الاتحاد السوفيتى إلى حد أزعج الغرب والولايات المتحدة. ولكن هذه العلاقات ظلت فى نطاق الصداقة والتحالف فقط، ولم تتحول إلى درجة التعاون الاستراتيجى وعقد اتفاقيات الدفاع المشتركة مع الاتحاد السوفيتى كما هو حادث بين إسرائيل والغرب والولايات المتحدة. التى فتحت ترساناتها العسكرية لإسرائيل إبان حرب يونيو، وأرسلت لها سفن التجسس الأمريكية الأكثر حداثة وتطورا لتتمركز فى البحر الأبيض المتوسط تمدها بصور لتحركات القوات العربية ومواقعها العسكرية. مكنتها من تدمير هذه القوات والمواقع فى اللحظات الأولى لنشوب الحرب، واكسبتها المعركة فى دقائقها الأولى، بينما الاتحاد السوفيتى لم يقم بمثل هذا الأمر إلا بعد انقشاع غبار المعركة ووقعت الهزيمة، وقد عبر عبد

الناصر عن مرارته الشديدة من الموقف السوفيتى عندما قدم السوفيت له صورا لمطارات سيناء التقطها قمرهم الصناعى بعد المعركة. عندها علق لهم بقوله «الآن تجيئون لى بصور لمطارات سيناء بعد أن احتلها اليهود؟ وسألهم : لماذا لم تعطونا هذه الصور من قبل عن مطارات إسرائيل قبل بدء المعركة؟ وهنا استجمع فى ذاكرته مجمل المواقف السوفيتية المتخاذلة منه قبل المعركة وبعدها، ومنها على سبيل المثال لاالحصر تلكؤهم فى إمداده بمائة طائرة كان قد طلبها منهم يوم ٦ يونيو ثانى أيام المعركة، ولكنهم عادوا بعد ذلك ووعدوه بتلبية كل طلباته من السلاح. وأضاف إلى ذلك ما أدهشه حقا من موقفهم عندما طلبوا منه ـ والجمعية العامة ومجلس الأمن يبحثان قضية الشرق الأوسط بعد المعركة ـ تقديم تنازلات لايمكن القبول بها حيث إنها كانت التنازلات التى يطالب بها الأمريكان تنفيذا لمخططهم المرسوم الرامى إلى إخراج مصر من حلبة الصراع مع إسرائيل، هذا ما أعلن عنه من مواقف الروس المتخاذلة، وما خفى يبدو أنه كان أعظم وأشنع وأفدح. فلو لم يكن هذا ما أفصح عنه عبد الناصر عن أن تنحيه عن السلطة لم يكن مدفوعا بالعواطف وحدها وإنما كانت عنده اعتبارات عملية وجزء منها متعلق بموقف الروس.

على أنه طبقا لما ورد من تقييم عبد الناصر لموقف وسياسية الروس من واقع ما ورد على لسانه من عبارات فى محاضر لقاءاته بالقادة السوفيت فى القاهرة بعد المعركة، وفى مؤتمر القمة العربية فى الخرطوم الذى عقد فى أعقابها يلمح دون أدنى عناء أنه كان يستشعر بما سيجد من أحداث فى المنطقة ويتنبأ بها. ففى هذه المحاضر جاء على لسانه أن الروس كانوا فى حالة تردد وضياع فى مواقفهم لأحداثها، وكانوا منكمشين، والأمريكان فى حالة انفلات، واعترف بخطئه بعدم معرفته أو تقديره لهذا التغيير الواضح فى الميزان الدولى، وأنه لم يحسب حسابا دقيقا لهذا التغيير، وكان ذلك أحد الأسباب الرئيسية ـ بل أهمها على الإطلاق فى هزيمته. كما أنه ثابت فى هذه المحاضر التى نشرها محمد حسنين هيكل فى كتابه ١٩٦٧ «الانفجار» أنه قال لبودجرنى خلال زيارته للقاهرة صراحة ـ إنهم أى الروس لم يقدروا حتى الآن أن ضرب الدول غير المنحازة هو خطوة فى سياسة الأمريكان للانفراد بالسيطرة على العالم. وإذا وقفنا نحن فسوف يزداد الضغط عليهم، وسيصل إلى

بنيـة العالم الثـالث، ثم ينتقل إلى دول أوروبـا الشرقـية، ثم يدخلون عليـهم فى بلادهم ذاتها. وفى مكان آخـر من هذه المحاضر قـال عبد الـناصر للروس إنهم سوف يخسـرون الحرب الباردة حـتى وإن كان لديهم مليون قنبلة ذرية. وهى لن تستعـمل. وهكذا كان ما جـاء على لسان عـبد الناصـر فى عام ١٩٦٧ يتحـقق اليوم فى نهايـة الثمانينـيات وبداية التسعينيات ـ أى بعد ٢٣ عاما فقد هبت رياح عاتية على الشرق اقتعلت مبادئها الاشتراكية والشيوعية من جذورها فى الاتحاد السـوفيتى الأم وفى دول أوروبا الشرقية، وسقطت نظم الحكم الديكتاتورية الشـمولية بها، وحلت مـحلها نظم ديمقـراطية تحترم حـقوق الإنسان وتبيح له حرية التعبير عن آلامه وآماله تلك الحرية التى كانت مكبوتة تماما فى تلك النظم. بينما انفردت الولايات المتحـدة الأمريكية بالسيطرة وحدها على مصـائر العالم دون منافسة حقيـقية من الاتحاد السوفـيتى الذى كاد يتقصى مـن هذه السيطرة ويحجمهـا، وأصبحت الولايات المتحدة الأمريكية تنفرد وحدها بوضع النظام الجديد لعـالم ما بعد التغيير الخطير، وتنفرد وحدها بمواجهة أحداث العالم تجمعه عندما تشاء وتحركه لتنفذ رغباتها دون قدرة أى دولة للتصدى لها، وخير مـثل على هذا ما تم بشأن أزمة الخليج التى ترتبت وتخلفت عن احتـلال العراق للكويت، وكـما تنبأ عـبد الناصـر بمستقـبل العلاقة بين الـقوتين الأعظم الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى وصدقت نبـوءاته بعد سنوات صدقت نبوءاته أيضاً فيما يختص بمستـقبل أحداث منطقة الشرق الأوسط. فمن واقع تقـييمه للهزيمة بالنـسبة لمصر ودول هذه المنطقة جاء فى أقـواله مطالبته بالضغط على الروس من الدول العـربية التى لها علاقات وطيدة مـعهم، ومن الدول غير المنحازة، وكل دول آسيا وأفريقـيا كما طالب بأن يتحرك إخوانه فى السعودية فى قناة وضع علاقاتهم وغيرهم مع الأمريكان موضع الاختبار لاسترداد ما ضاع من أرض عربية فى معركة يونيو الخاسرة. وقال إننا نحتاج إلى فترة مـا بين سنتـين إلـى ثـلاث سنوات لكى نعـود إلى معركـة كبـيرة واسعـة النطاق لإزالة آثار العدوان، وأنه ينـبغى ألا تمر الفترة الحالية فى سكون دون حـركة، وإنما يجب أن نشحنها باشتـباكات محـددة لتسخـين الجبهة ولكسـر حاجز الخـوف لدى قواتنا الذى تخلف عن الهزيمة. كما أن هذه الفـترة لابد أن نغطيها بعمل سياسى نشيط يقنع أصدقاءنا ـ وأولهم

الاتحاد السوفيتى ـ أننا فعلنا كل شيء من أجل حل عن طريق الأمم المتحدة والاتصالات الدولية، ولكنه لم يكن واثقا فى جدوى الحل السياسى. إذا لم يكن مغلفا بقوتنا وقدرتنا على تحرير أرضنا، وأنه لابد من معركة تثبت فيها هذه القوة تلك القدرة، وهو ما حدث بالضبط فبعد سنوات الاستنزاف والتحرك السياسى الداعى فى الأروقة الدولية كانت معركتنا المظفرة فى أكتوبر عام ١٩٧٣ أى بعد ستة سنوات من الهزيمة التى مسحنا بها عار الهزيمة، ولفتنا نظر العالم بها إلى قضايانا وضرورة حلها حلا عادلا دائما شاملا. والا أننا ضيعنا كالعادة بخلافات هامشية شبت بيننا عطلت حصولنا على حقوقنا كاملة، وأعطت لأعدائنا فرصة استخدامها كدليل على أننا شعب يرفض السلام متعطش للحرب، على أن الحسنة الوحيدة التى استفاد بها عبد الناصر من الهزيمة أنه تخلى عن اتهاماته وشتائمه، وقدر مواقف الدول العربية خير تقدير وقدر التزاماتها وارتباطاتها نجت من حملته عليهم، بل وتخلى عن سياستة المجابهة لجمع شمل الموقف لمواجهة المواقف المتردية التى ترتبت على الهزيمة. فغفر لعدد منهم مواقف حامت حولها الشبهات، وأفسح صدره للاستماع إلى وجهات نظرهم ـ حتى ولو كانت مخالفة لوجهة نظره. يناقشهم ويحاورهم حتى يقنعوه أو يقنعهم على استمرار العلاقات بينهم بهذا الحوار وتلك المناقشة ما دامت تلك المناقشات تصب فى قنوات أمتهم العربية من محنتهم، ولهذا حديث آخر بالتفصيل فى محاولة لتقييم تلك المواقف.

اعد عبد الناصر لحرب استنزاف طويلة

تمهد الطريق لحرب تغسل عار هزيمته

لعبد الناصر فضل كبير فى إنجاح حرب أكتوبر التى غسلنا بها عار هزيمتنا فى يونيو عام ١٩٦٧ وأثبتنا بها أننا قادرون على قطع ذراع إسرائيل الطويلة فى الحرب التى كانت تتباهى وتعلن للعالم أن العرب بعد هزيمة يونيو تحولوا إلى جثة هامدة لاخوف منها. وأن الروح لن تدب فيها من جديد قبل خمسين عاما قادمة. وغيرنا بها الاستراتيجية الإسرائيلية القائمة على استخدام القوة لفرض السلام الذى تريده علينا. وهو سلام أقرب إلى الاستسلام، وأجبرناها على تغيير هذه الاستراتيجية ليحل محلها استراتيجية جديدة تقوم على أساس أن السلام لها لابد أن ينبع من الدول العربية وحدها، ولن يتم ذلك إلا بإسقاط وسيلة الحرب كوسيلة لاقرار سلام عادل شامل دائم فى منطقة الشرق الأوسط، بعد أن ثبت لديها أنها لن تستطيع فرض الاستسلام علينا بالحرب. حتى ولو فتحت الولايات المتحدة الأمريكية ترساناتها العسكرية على مصراعيها لإسرائيل، وتلقت المزيد من الدعم المعنوى والمادى والعسكرى والاقتصادى من كل حلفائها التقليديين فى الغرب بفضل اللوبى اليهودى فى تلك الدول ونشاطه المكثف. وعليه فإنه إذا كان عبد الناصر قد منى بهزيمة ثقيلة. فحسبه أنه أعد للنصر الذى أحرزناه فى حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ أى بعد ستة سنوات من هذه الهزيمة الشنيعة، فقد واجه المسئولية باقتدار ومقدرة أدهشت كل المراقبين وأذهلت إسرائيل نفسها، فلم يكد أن يتولى المسئولية من جديد بعد تنحيه حتى أعاد تنظيم القوات المصرية وتقوية الجبهة الداخلية وجمع الصف العربى كما لم يجمعه من قبل، وحرك الدبلوماسية المصرية فى الأروقة الدولية لتثبيت الحق العربى والحق الفلسطينى فى الضفة الغربية وقطاع غزة اللتين احتلتهما إسرائيل فى الحرب، وأعطى الإشارة لكل الأطراف العربية بأن تستخدم علاقاتها فى المحافل الدولية التى كان من نتيجتها صدور قرار ٢٤٢ من مجلس الأمن الذى قرر حتمية الجلاء عن الأراضى التى احتلتها إسرائيل فى الحرب. وما زال هذا القرار أساس أية تسوية للنزاع العربى الإسرائيلى إلى يومنا هذا، وما

زالت إسرائيل تحاول أن تفسر بنود هذا القرار لصالحها. ولكن المجتمع الدولى ما زال يرفض تلك التفسيرات ويمارس هذا المجتمع ضغطه على الولايات المتحدة الأمريكية لتقف على الأقل على الحياد وتتخلى عن موقفها المنحاز كلية لإسرئيل ظالمة أو مظلومة. إعمالاً بكل المواثيق والاتفاقات والقرارات الدولية التى صدرت، والتى تدين إسرائيل بالعدوان وتطالبها بالجلاء عن الأراضى العربية التى احتلتها بالقوة مخالفة لكل هذه القرارات. وما زال المجتمع الدولى يضغط على الولايات المتحدة للتخلى عن استخدام حقها فى الفيتو لوقف قرارات مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة التى تدين إسرائيل، وتطالب بتوقيع العقوبات عليها التى جاءت فى ميثاق الأمم المتحدة الموقع عليه من كافة الدول الأعضاء ومن إسرائيل نفسها.

كان عزيزا على عبد الناصر الذى وهب نفسه وثورته لتحرير الشعوب من يد الاستعمار، وفى قمة نجاحه وبعد أن تحرر العديد من الشعوب العربية والإفريقية، وبعد أن تزايد العداء للاستعمار وأصبح يطارد فى كل مكان، وتتعرض مصالحه لهجمات الثائرين وتسقط قلاعه الواحدة بعد الأخرى، وتنسف قواعده التى كان يرتكز عليها، كان عزيزا عليه والمد الثورى يغطى مساحات شاسعة فى بلدان العالم أن ينقض عليه الاستعمار ويحتل ثلث بلده بالإضافة إلى أرض عربية أخرى. لذلك لم يأل جهده فى إزالة آثار هذا العدوان بسرعة عن طريق عدة قنوات. أولها إعادة الفاعلية للقوات المسلحة ورفع روحها المعنوية التى أحبطتها الهزيمة. ولتحقيق هذا الهدف أقصى قادتها الذين منوا بهذه الهزيمة، وأقال الوزارة. وكان هدفه من ذلك امتصاص الصدمة الكبيرة التى أصابت الشعب وهزت الجبهة الداخلية وقد راعى فى اختياره للقادة الجدد للقوات المسلحة ووزراء الوزارة الجديدة تميزهم بالكفاءات العالية التى تتطلبها هذه المرحلة. ثم تفرغ بعد ذلك لتعويض ما فقدته القوات المسلحة من سلاح لتعود به فاعليتها وروحها المعنوية التى حطمتها الهزيمة. ولم يكن أمامه سوى الاتحاد السوفيتى للحصول على السلاح المطلوب فباب الغرب مغلق بالضبة والمفتاح. لأنه والولايات المتحدة لهم تخطيط مرسوم قبل الحرب وبعدها يمنع تماما مساعدة عبد الناصر، ومن هذا كان قرار عبد الناصر إيفاد الرئيس الجزائرى هوارى بومدين على رأس وفد من الرؤساء العرب إلى موسكو مرتين. كانت المرة الأولى للعتاب على

خال علينا مخطط خداع المؤسسة العسكرية الإسرائيلية للمرة الثانية فكانت النكسة

مهما تعمقنا فى أسباب نكسة يونيوعام ١٩٦٧فإن الأسباب التى نهتدى إليها لن تصل إلى حجم هذه النكسة، فإذا قلنا مثلا إن مراكز القوى التى رعاها وحماها المشير عبد الحكيم عامر هى التى حجبت الحقيقة المره التى كانت تعيشها الجبهة الداخلية ومؤسساتنا العسكرية فبينما كانت إسرائيل مشغولة بالتخطيط للحرب وتعد لها وتعلو على كل ما عداها من أمور، وبينما كانت إسرائيل مشغولة بالحصول على أحدث الأسلحة وإعداد جيشها لسائر الاحتمالات، إعداده للحرب التقليدية وإعداده لحرب العصابات والهجوم الجوى والبرى والبحرى كانت مؤسساتنا العسكرية تنهى آثار وتداعيات حرب اليمن التى زج فيها جيشنا دون ما هدف واضح يرفع من الروح المعنوية لهذه القوات، وقبل ذلك كانت قيادتنا العسكرية مشغولة تماما فى لجان تصفية الإقطاع وإرهاب المواطنين وتعذيبهم بفضل صلاح نصر رئيس المخابرات العامة بانحرافاته الرهيبه وتصرفاته الوحشية واللا إنسانية التى اعترف بها عبد الناصر ـ لما ووجة بها بعد النكسة ـ بأنه لا علم له بكل هذه التصرفات. وكأن البلاد كان يحكمها حكومتان حكومة يديرها المشير عامر وصلاح نصر وأعوانهما ومريدوهما والمنتفعون والمنافقون، وحكومة يديرها عبد الناصر ووزراؤه ورجاله. ومن هنا جاء لقب عبد الحكيم عامر الذى كانت تناديه به شلته وهو ييا ريس ويطلقون عليه لقب الرئيس مكرر.

الخلاصة أن إسرائيل كانت تعرف كل شىء عنا ونحن لا نعرف عنها أى شىء كما اتضح فيما بعد من التحقيقات التى جرت بعد النكسة التى اعترف فيها الفريق أول محمد صدقى محمود أن مصر لم تعرف أن إسرائيل حصلت من بريطانيا قبل المعركة بسنوات على الخطط التفصيلية لعمليات الطيران البريطانى عام ١٩٥٦ ومن ثم اتخذت من هذه الخطط السابقة نموذجا مؤسس عليه الخطط اللاحقة، ولو أن ـ والكلام للفريق أول صدقى ـ أحدا فى مصر عرف بذلك ـ قبل فوات الأوان ـ لوقع التنبيه إلى أن إسرائيل تفكر وتخطط لضربة واسعة المدى من نوع ما قام به الطيران البريطانى عام ١٩٥٦ ـ ولما ظلت

موقف الاتحـاد السوفـيتى المشين خلال الحـرب، والمرة الثانيـة كانت لجس نبـض الاتحاد السوفيتى فيـما يختص بإعادة تسليح الجيش المصرى، وربما يقصد الجيـوش العربية لإشعار إسرائيل على أقل تقدير أننا لم نستسلم للهزيمة، وأننا نعد لجولات أخرى لاسترداد كرامتنا المهانة، وحدد عبـد الناصر تخطيطه والمطلوب من الاتحاد السوفيتـى، وأعلن شعارين كانا من أهم الشعارات التى أكسبـتنا المعركة فيما بعد. الأول «ما ضاع بالقـوة لايسترد بغيرها» والثانى. أنه ليس هناك محظور فى العـمل السياسى. وتطبيقا لهـذين الشعارين ثبت قرار وقف إطلاق النار حـتى لايعطى فرصة لإسـرائيل أن تنتهـز فرصـة ضعف أسلحـة دفاعنا وتقوم بغارات تحطم بها منشأتنا الداخلية ومرافقنا الحـيوية، وفى الوقت نفسه تسخين جبهة القتال على خطوطنا مع إسرائيل باشـتباكات محدودة تحرز فيهـا قواتنا بعض النصر لكسـر حاجز خوفنا من الدخول فى معركة جديدة مع العدو، وعندما تصل إلينا شحنات السلاح التى تم الاتفاق عليها مع الاتحـاد السوفيتى نقوم بحرب استنـزاف طويلة تستغرق من سنة إلى ثلاث سنوات تمهد إلى المعركة الكبيـرة. وهذا هو ما حدث إلى أن وافته المنية فى ٢٨ سـبتـمـبر عـام ١٩٧٠ وقد أبلت قـواتنا المسلحـة بلاء حـسنا فى هذه الفـترة فى حـرب الاستنزاف، وتخللتها معـارك مشرفة منها معركة رأس العش على الضـفه الشرقية للقناة، ومنها إغراق المدمرة الإسرائيلية إيلات بصاروخ مصرى، ولو امتد العمر بعبد الناصر لخاض المعركة التى خـاضها الرئيس الراحل أنور السادات بعده ولحـل النزاع العربى - الإسرائيلى بالسـلام مثلما فـعل السادات بعد أن أيقن من تعامله مع الاتحاد السوفـيتى عشرات السنين أنه لن يدخل حـربا إلى جانبنا ضـد الولايات المتحـدة الأمريكية. وكـانت بداية هذا الخط قبوله لمبادرة روجرز ومـواجهة القادة السوفيت فى عقر دارهم بقـراره هذا. كما أيقن عبد الناصر أن حرب الاستنزاف والمعركة الواسعة بعدها لن تؤتى ثمارها إلا بتضامن عربى مرن يبلور قدرا من الإرادة العربية تستخدم فيها إمكانيات الدول العربية الحليفة للاتحاد السوفيتى يمكن ويهيئ المناخ للنصر فى المعركة. ويعطى فى الوقت نفسه فرصته للمجتمع الدولى أن يتخذ قـرارا يؤكد حق العرب الثـابت فى الأراضى التى احتلتها إسـرائيل بالقوة. على أن تصب كل هذه المحاولات فى قـناة واحدة لمواجهـة المأزق الخطير الذى وضعت فـيه الدول العربية بلا اسـتثناء بعد هزيمة يونيـو. ولكى يتحقق هذا الهدف كـان لابد من تحاشى كل

الافكار فى القيادة العليا المصرية حبيسة لتصوراتها عن حدود الضربة الجوية الأولى، وأنها سوف تكون قاصرة على حدود ومطارات وقوات سيناء. هذه المعلومات التى أدلى بها الفريق أول صدقى محمود بعد النكسة استقاها على الطبيعة من واقع الخرائط التى وجدت فى حوزه احد الطيارين الإسرائيليين التى سقطت فى الاراضى المصرية فى اليوم الأول للنكسة، وتبين منها دقة المعلومات المتوفرة لدى طيارى إسرائيل عن مطاراتنا، وتبين بوضوح تام شكل هذه المطارات وأبعادها وأماكنها. وأيضا مواقع الصواريخ الموجهة والمضادة. للطائرات ومناطق تدميرها على الارتفاعات المنخفضة، ومواصفات أغلب محطات ردارنا وأشكالها، ومواصفات طائراتنا وخصائصها الفنية وكيفيه التعامل معها، وهذا كله معناه أننا دخلنا حربا لم نكن نعرف عنها شيئا عن العدو الذى ستواجهه قواتنا المسلحة. ومعنى ذلك اننا وقعنا صكك هزيمتنا قبل خروج الطلقة الأولى. حيث إن كسب المعارك الحربية يعتمد فى المقام الأول على مدى توافر المعلومات عن العدو. وهذا وحده السبب الرئيسى فى النكسة التى منيت بها قواتنا المسلحة، وأما حجم هذه النكسة فلها أسباب أخرى عديدة وأهمها أننا خدعنا للمرة الثانية من إسرائيل، وكان ينبغى ألا نخدع. فمن يلدغ من جحر لا ينبغى أن يلدغ منه مرة ثانية.

وتفسير ذلك أننا دخلنا حربا مع إسرائيل قبل النكسة بأحد عشر عاما وهى حرب العدوان الثلاثى، وفهمنا منها تخطيط المؤسسة العسكرية الإسرائيلية الذى لم تتغير فى الحربين. ففى الأولى كان موشى ديان رئيسا لهيئة أركان حرب إسرائيل وفى الثانية رقى إلى وزير الدفاع، وقد اعتمد فى حربه الأولى على الإجهاز على سلاح طيراننا بالكامل ليشل حركته وتصبح سماؤنا وأرضنا مفتوحة بتعامل معها مع قواتنا بحرية تامة. وكان الدرس الذى وعيناه من هذه الحرب وفهمه رجل الشارع أن تخطيط اسرائيل فى أية حرب تخوضها بيننا لابد وأن نعتمد على نظرية يسميها العسكريون «الاقتراب غير المباشر» وهى نظرية تعتمد على عدم التورط فى القتال والالتحام مع العدو. وبناء على هذه النطرية خطط العسكريون قرار انسحاب قواتنا فى عام ١٩٥٦ وقرار انسحابها عام ١٩٦٧ على أساس إن هذين القرارين خدما إسرائيل وساعدا على تنفيذ مخططها. وقد تغلبنا عليها فى

حرب ١٩٧٣ المظفـرة لأننا لم ننسحب من الميدان، والتـحمنا معهـا ولم تتحمل شجـاعة جنودنا وفدائيتها الفريدة، وكان ينبغى على قيادتنا العسكرية ألاتبتلع الطعم للمرة الثانية فى حرب ١٩٦٧ بعد أن ابتلعـوه فى حرب ١٩٥٦ وكان ينبـغى اتخاذ الإجـراءات لأن يبقى سلاح طيراننا سليما، والحق يقال أن هذه الحقيقة لم تغب عن بالهم وهم يخططون لحرب ٦٧ وإنما فاتهم جزئية منها ـ بناء على معلومـات خاطئة ـ منه أن بعد المسافة يمنع إسرائيل من تدميـر سلاح الطيران فى القاهرة وإنما يدفـعها إلى تدميـر طائراتنا فى مطارات سيناء، ولكنهم فوجئوا بأن سلاح الطيران الإسرائيلى قام فى طلعته الأولى بتدمير ٧٥٪ من سلاح طيراتنا. سواء المرابض منهـا فى المطارات المنتشرة حول القاهرة. ففقـدوا توازنهم وأصيبوا بصدمة لم يفيقوا منها إلاعلى أنباء هزيمة لجيشهم لم تحدث لجيش قبله، وأغلب الظن إنها لن تحدث لجيش بعده، وللحق والحقيقة من واقع ما أذيع من أسرار النكسة أنه كانت هناك أخطاء قاتلة فى التـشكيلات والإعداد والتخطيط قـبل المعركة بسنين، وكان ذلك مـعروفا لدى إسرائيل شجعهـا لا أن تجعل من حرب ١٩٦٧ مـجرد هزيمة وإنما جعلها ـ كـما قال جمال عبد الناصر ـ تستكمل خطة أمريكـيه ـ إسرائيلية هدفها الأول أن تترك فى معنويات جيشنا جرحا غائرا لا يندمل تذكر به الأمـة بأن عودتها إلى ميدان القتال فى يوم من الايام أمر لا ينبغى التفكير فيه.

على أنه إذا كانت أخطاء مؤسساتنا العسكرية فادحة. فإن أخطاء إعلامنا فى هذه الفترة أفدح. حيث وقع تماما فى المصيدة التى نصبـها له الإعلام الإسرائيلى. فقد أمعنت وسائل إعلامنا فى ترديد نغمة تفوقـنا على إسرائيل فى كل شىء. مع أن الواقع القائم كان ينافى ذلك تماما. وزاد من ترديد هذه النغمة نقله لكل ما كانت تذيعه وسائل الإعلام الإسرائيلى ونشره عمدا لتحقيق أهداف ساعدتها فى نجاح مخططها العسكرى، فقد استخدمت كل ما تذيعه وسائل إعلامنا فى التأثير على دول البيان الثلاثى. وهى أمـريكا وانجلترا وفرنسا التى تعهدت فى عام ١٩٥٠ بـأن تجعـل تسليح دولة إسرائيل وحدها يعادل تسليح كافة الدول العربية لتحاشـى احتكاك الحرب فيما بين تلك الدول، واستخدمـت إسرائيل نغمة الإعلام المصرى فى هذه الفتـرة للإخلال بالتوازن الذى أقرة البيان الثـلاثى، واستطاعت أن تحصل

من تلك على أضعاف ما كـانت تحصل عليه منها. حتى أصبـحت أقوى من الدول العربية مجتمعه وما زالت إسرائيل تسيـر فى هذا المخطط إلى يومنا هذا، بادعاء أن ذلك دفاع عن أمنها ووجـودها. إذ انها تعيش فى بحـر من كراهية العـرب. بل تمادت فى ذلك إلى حد محاولة إقناع العالم بأن احـتفاظها بالأراضى العربية المحتلة فى الضفـة الغربية وقطاع غزة والجولان السـورية كمناطق استـراتيجيـة تستشـعر منها الخطر عليـها قبل أن تتـعرض له، والغريب أن هناك فى العالم من يستمع إلى هذا المنطق الغريب ويـوافقها عليه ويخيل عليه ما تدعيه من أنها حمل وديع قدر له أن يعيش فى وسط ذئاب تعمل على افتراسه، لتغطى بذلك مخططاتهـا الاستيطانيـة الاستعـمارية والاحتـلالية وصولا إلى تحـقيق الأمل الذى يتـصوره الكنيـست الإسرائيلى، وهو إسـرائيل الكبـرى التى تمتد حـدودها من النيل إلى الفرات ـ أى أن مخططات الخداع الإسرائيلية مـا زالت مستمرة منذ تاريخ النكسة إلى يومنا هذا، وستستـمر هذه المخططات ما دمنا لا نفهمها ولانتـخذ اية إجراءات ضدها. ويوم أن تشعـر إسرائيل أننا فهمنا مـخططاتها ستـضطر لقبول السلام وتتـوقف عن أطماعها غـير المحدودة بحدود.

هل كان تنحى عبد الناصر إجراء تكتيكيا لامتصاص آثار نكسة يونيو أم كان صادقا بالفعل فى التنحية

كان عـبدالناصـر من القادة الذين يسـتطيعـون كظم غيظهـم إلى أن تتاح لهم فـرصة الانقضاض على أعدائهم ومعـارضيهم، وكان من هذا الصنف من القادة الذين لايمكن أن تهزمـهم الأحداث مهمـا كانت خطيرة ومريرة ومـؤثرة عليهم شخصـيا وعلى مستـقبلهم السياسى وعلى وجودهم فى مركز القيادة. فقد شهدته فى مواقف عصيبة وصعبة، ولكنها لم تفقـده توازنه أو تحرك شعـرة من رأسه. أذكر منها علـى سبيل المثال لاالحـصر يوم أن هاجمت القوات الإسرائيلية الـقوات المصرية فى الصبحه فى شبه مذبحـة رهيبة وقابل النبأ المفجع بعدم اكتراث وإهمال شـديد، وأنا لا أدرى أنه كان يعد العدة للثأر من هذه المذبحة بمذبحة شـبيهة وقـد كان وثأر الجيش المصـرى لنفسه بالفـعل، وشاهدت عبـد الناصر فى شوارع الإسكندرية والجماهير تحاسبه فى تجمهر كبير على سوء معاملته لمحمد نجيب الرجل الطيب كما كانوا يهـتفون. وشاهدته وهو فى منزله فى منشية الـبكرى وشوارع مصر تعج بالمظاهرات الصاخـبة المؤيدة لمحمد نجـيب، ولما سألته عـما ينوى أن يفعله لتهـدئه الشعب الثائر كانت دهشـتى شديدة عندما رد على بقوله «خلى نجيب ينفـعهم»... وشاهدته يوم الجمـعة ٢ نوفمـبر بعد العدوان الثـلاثى عام ١٩٥٦ بأقل من ٧٢ ساعة والقـوات المصرية تتراجع فى صحراء سيناء تحت وطأة ضربات الطيران الإسرائيلى الموجعة بسبب عدم وجود أية قيادة بعـد أن دمرت سلاح طيراننا عن أخـره وهو قابع فى مطاراته ومواقـعه. شاهدته وهو يخطب فى الأزهر الشريف واليأس يتـملكه من أخمص قدمه إلى مفـرق شعره وكأن الثورة قد انتهت وانتهى هو أيضا، ولم يمض سوى أسبوع إلا وعاد إلى الأزهر يخطب فى يوم الجمعة التالى وقد تغيرت لهجتـه الانهزامية التى سمعناها فى خطبته الأولى إلى لهجة المنتصر الذى عادت إليه الروح الوثابة القوية الواثقة من جديد، وخرج من الأزمة منتصرا، واستمرت الثورة وكتب له وللثورة عمر جديد، وقبل هذه الواقعة شاهدته وهى يتلقى أنباء مظاهرات الإخوان المسلمين فى الشرقية وفى مناطق أخرى مـتفرقة من الجمهورية. وكيف أن الشعب قـد استجـاب لهم وانضم إليهم، وشـاهدته وهو يصدر أوامره لقـوات الجيش بالنزول إلى الشـارع فى هدوء عـجيب. هدوء الواثق فى نجـاح الجـيش فى إخمـاد تلك

المظاهرات - وكان له ما أراد - فلم تمض ساعات حتى تلقى أنباء نهاية هذه المظاهرات وعودة الهدوء إلى مناطق الاشتباك، وشاهدته فى أعقاب إقالة محمد نجيب الأولى التى هيجت الشارع المصرى والقوات المسلحة، وبدا أن الثورة على وشك أن تمنى بفشل ذريع ورأيته ثابت الجأش لا شبهة لأى اضطراب يعتريه، وكأنه مخطط للأمر تخطيطا يستحيل أن يفشل. وقد رافقته فى أول خطوة قام بها لتدارك هذا الأمر الخطير. وهى زيارته لسلاح الفرسان الذى كان أكثر أسلحة الجيش تأييدا لمحمد نجيب والذى أضرب وضباطه وجنوده واعتصموا وطلبوا حضوره على الفور، ولبى الطلب وكله أمل أن ينجح فى تهدئتهم وإنهاء إضرابهم واعتصامهم، ولكن الريح تأتى بما لاتشتهيه السفن - كما يقولون - فقد فشل فى إقناعهم فيما طلبوا منه توضيحه حول الديمقراطية والحرية والدستور واستفتاء الشعب عليها، وحول منصب رئيس الجمهورية الذى كان يطالب به محمد نجيب - كما فشل أيضا فى الدفاع عن المخازى والمهازل التى ارتكبها الضباط الذين وقع عليهم اختياره لتولى مناصب مدنية بعد إعفائهم من مناصبهم العسكرية وخرج عبد الناصر والإضراب والاعتصام ما زالا مستمرين إلى أن تلبى مطالبهم. خرج وهو يدير أمرا لمواجهة اعتصام سلاح الفرسان بسبب إقالة نجيب، وكان الأمر الذى أعده هو التراجع عن القرار وإعادة نجيب للسلطة لحين أن تهدأ العاصفة - خرج عبد الناصر من سلاح الفرسان وهتافات الشعب مازالت تصم أذنيه وتأتى له الأنباء بأنها فى ازدياد، وأن قوات الأمن فشلت فى تفريقها، وأن هناك قطاعات أخرى فى الجيش قد امتد إليها العصيان، وخاصة فى وحدات الجيش فى الاسكندرية واستطاع عبد الناصر أن يحصل من مجلس الثورة على قرار بإعادة محمد نجيب خلال أربع وعشرين ساعة، وأذيع النبأ، وهدأ الشارع ولكن فيما يختص بسلاح الفرسان سرت إشاعة فى أسلحة الجيش أنه قام بانقلاب داخلى بهدف إرغام عبد الناصر وزملائه على الاستقالة، وأن الأمر لايتعلق بمحمد نجيب وحده، وإنما يتعلق بمستقبل الثورة برمته وأيدت أسلحة الجيش بقاء الثورة وبقاء عبد الناصر وتحول الرفض إلى تأييد تام على المستوى الشعبى والمستوى العسكرى، ومر عبد الناصر من الأزمة فقد كان يحنى رأسه للعاصفة وبعد مرورها كان يتعامل مع أفرادها فردا فردا إلى أن يقضى عليهم جميعا. فقد أجرى حركات تطهير فى الجيش لا تعد ولاتحصى. حتى قيل إن الجيش لم

يعد فيه ضابط واحد ممن عاصروا ضباط الثورة أو زملاءهم.

والسؤال الآن: هل كان تنحى عبد الناصر إجراء تكتيكيا؟ الإجراءات التكتيكية التى قام بها فى مواجهة الأحداث والازمات التى تعرضنا إليها وغيرها الذى لم نشر إليه. والواقع أن كل الأحداث التى مرت بعبد الناصر منذ قيام الثورة إلى وفاته لاتقل خطرا على الثورة من خطر النكسة. ولكن عبد الناصر واجهها برباطة جأش وهدوء أعصاب ساعدته على مواجهة تلك الأحداث وتدارك خطرها، ولكنه فى النكسة أصيب باليأس وفقد أعصابه تماما، وأيقن أن النظام كله قد انتهى وأنه ـ أى عبد الناصر وزملاؤه فى انتظار من يحاسبهم بعد أن فقد النظام شرعيته بفشله فى حماية الوطن. ومن هنا أغلب الظن أن تنحى عبد الناصر لم يكن أمراً تكتيكياً ـ كما فعل فيما سبق من أحداث ـ وإنما التنحى كان نهائياً وترشيحه لزكريا محيى الدين ليتولى أمر الدولة من بعده كان صادقا فيه، ولم يكن محاولة لامتصاص آثار الهزيمة. فلم يكن يدر بخلد عبد الناصر أن الشعب سيطالب بعودته إلى السلطة ويرفض ترشيح غيره لتولى المسئولية ويجدد ثقته فى قدراته على تخطى المحنة وقيادة مصر إلى بر الأمان. فقد كان عبد الناصر من هول الكارثة مشلول التفكير عاجزا عن التخطيط كما خطط من قبل للأحداث المهولة التى مرت به من قبل. كان كالغريق الذى ينتظر من ينتشله من الغرق وكان الشعب هو الذى انتشله من الغرق. فهو الذى خطط لكل الأحداث السابقة، ولكن الشعب هو الذى خطط لإنقاذه هذه المرة. وهو جميل طوق عنقه إلى أن وافته المنية بعد سنوات ثلاث من النكسة بذل فيها قصارى جهده ليثبت لهذا الشعب أنه جدير بثقته، ولكن الأجل لم يمهله لرد الجميل. ولكن يكفيه أنه فى خلال تلك السنوات الثلاث قد أعاد تنظيم قواته المسلحة ورفع معنوياتها التى كانت وصلت إلى حد الاستسلام التام للهزيمة بما وفر لها من سلاح ومعدات جديدة أمده بها الاتحاد السوفيتى تكفيرا لموقفه المتخاذل إبان الأزمة. ويكفى عبد الناصر أنه خلال تلك السنوات الثلاث استطاع أن يصفى مراكز القوى ويصفى جيوبها التى كانت العنصر الرئيسى المتسبب فى هذه النكسة وأصبحت الأمور طبيعية ولما عادت الأمور إلى طبيعتها لقن إسرائيل درسا أفهمها أن مصر حية إلى الأبد، وأنها ستثأر لنفسها يوما، وكان هذا الدرس بداية حرب الاستنزاف بمعركة رأس العش وإغراق الغواصة إيلات بصاروخ مصرى الصنع.

تغاضى عبد الناصر عن سائر الأخطاء الداخلية وخطط لحرب الاستنزاف التى استكملها السادات

لم يشأن عبد الناصر أن ينكأ جرح هزيمة يونية ويحاسب كل المتسببين فيها ويسقط العقاب عليهم، وتحمل هو وزرها كاملاً أمام الشعب. فأمتص بذلك غضبه الذى كان قد فاق كل حد وبات يهدد بكارثة أعنف وأشد من كارثة الهزيمة، ثم شغل الشعب فيما بعد بمحاكمة المسئولين عنها عسكرياً بعد أن عين بدلاء لهم يتميزون بالعسكرية الصارمة والاطلاع على آخر تطورات فن الحرب نفسيا واستراتيجيا وتكتيكيا التى كانت تشكل عصب المستقبل بعد الهزيمة ـ بالرغم من أن تصرفات البعض منهم قد وصلت إلى حد الخيانة العظمى ـ وربما قصد عبد الناصر من وراء هذا التصرف عدم تجديد إثارة الشعب وإمعانا فى أن يشمل الهدوء والاستقرار كل الجبهات ليتفرغ لإدارة المعركة دون أية معوقات أو اعتراضات. تغاضى عبد الناصر عن سائر الأخطاء الداخلية والخارجية وبدأ يخطط لحرب الاستنزاف مستخدماً استجابة الإتحاد السوفيتى لتزويده بكل طلباته بالسلاح الذى يساعده على هذه الحرب، وهى الحرب التى استكملها أنور السادات من بعده. وتوجها بحرب اكتوبر المظفرة التى أعادت لمصر والعرب كرامتهم ومسحت عار هزيمة يونيو المنكرة. وكانت بداية لقناعة إسرائيل إن الحرب مهما كانت، وأيا كان السلاح المستخدم بها لن تضمن لها الأمن والاستقرار والتعايش السلمى مع جيرانها من العرب، ومنذ ذلك التاريخ أسقطت الحرب كوسيلة لحل القضايا المختلف عليها واستبدلت بالدبلوماسية والحوار والتفاوض.

وطبقاً لأقوال عبد الناصر فى محاضر لقاءاته مع الزعماء العرب والروس وطبقاً لحواره غير المباشر مع الأمريكان تبين أنه بدأ بحرب الاستنزاف من واقع تخطيط محكم بهدف الحصول على نصر يضيع آثار الهزيمة التى منى بها جيشه وهددت نظامه كله بالسقوط. وكان تخطيطه الدعوة إلى مؤتمر قمة عربى تسوى فيه كل آثار تلك الهزيمة، ويتحالف الجميع بالضغط على الأمريكان والروس باستخدام عرب موسكو وعرب الأمريكان فى هذا

الضغط، وكان مؤتمر الخرطوم ولاءاته الثلاث المشهورة. ولم يتورع عبد الناصر أن يغير من لهجتـه قبل الهزيمة التى كـانت تتميز بإصـراره على التغلب على الاستعمـار بشتى ألوانه وتحرير مصر وغيرها من الدول النامية من سطوة هذا الاستـعمار، وكان قد بلغ شأنا كبيرا فى هذا الشأن قبل هزيمة يونيو، وعمت حركات التحرير معظم دول آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية، وهو ما أعطى عبـد الناصر دفعة قوية وأملا بقرب تحقيق مـا يصبو إليه من طرد للاستـعمـار من كل هذه الدول. وفى رأيى أن هذا النجاح الذى أحـرزه عبد الـناصر هو الذى جعل الشـرق والغرب يتآمـران عليه مع إسـرائيل فى حرب يونيو التى انـتهت بتلك الهزيمـة التى ظن الغرب والشرق أنهـا نهاية عبـد الناصر الذى ألَّب عليـهم العالم وقلب تخطيطاتهم وخلط أوراقهم وأصابهم فى مقتل، فلم تألف من عبـد الناصر نغمة استسلام ملحوظة.

يقول فى محاضـر جلساته بالحرف الواحد: أريد مؤتمر قمة عـربى لكى يتحرك إخواننا فى السـعودية وغيـرها ـ وكانت عـلاقاته مـعها فـى أسوا حالاتهـا ـ ويضعـوا علاقـتهم بالأمـريكان موضع اخـتبار لـيس من أجلى، ولكن من أجل الضفـة الغربيـة ووراء الملك حسـين. . وهو الذى شكك هوارى بومـدين الرئيس الجزائـرى فى موقـفه خـلال حرب يونيو، وتشكك فى مـوقفه فيما بعـد وعبر عن خوفه من هـذه المواقف. . . والكلام لعبد الناصر ـ يكمل أقـواله ليعلن: وأنا أعـتبر إنه ليس هناك مـحظور فى العمل الـسياسى إلا الإسـتسـلام وعلينا أن نسـجل لعـبد الناصـر إنه وهو فى هذه اللحـظات الحرجـة خطط للمستقـبل على ضوء رؤية سليمة ثبت فيمـا بعد سلامتها عندمـا قال. . نحن نحتاج إلى فتـرة ما بين سنتـين أو ثلاث سنوات لكى نعود إلى مـعركة كـبيرة. نحـن لانريد أن تبرد الأحوال على خطوطنا مع إسرائيل بعد وقف إطلاق النار مباشرة. . كنت أريد تثبيت وقف إطلاق النار وبعد أن تأكدنا أن هذا حـدث لم يعد لدينا مانع من قبول اشتبـاكات محدودة لتسخين الجبهة ولكسر حاجز الخوف عند القوات وتطعيمها بالنار. ومنذ أيام ونحن نتعامل فى منطقة رأس العش على الضفة الشرقية من القناة. فقد اكتشف اليهود أن لنا قوات على هذه الضفة فى بور فؤاد وحاولوا تصـفيتها، وحدثت اشتباكات كانت قـواتنا فيها فى حالة معنوية ممتازة، وعاد عبد الناصر يؤكد تغـاضيه عن كافة الأخطاء ويوضح تخطيطه فيقول:

لكننا نحتاج كما قلت إلى فترة سنتين أو ثلاثة قبل أن نكون مستعدين لمعركة واسعة النطاق لإزالة آثار العدوان وهذه الفترة لايمكن أن تمر ساكنه، وإنما لابد أن نغطيها بعمل سياسى نشيط يقنع أصدقاءنا ـ وأولهم الإتحاد السوفيتى أننا قبلنا كل شئ من أجل حل عن طريق الأمم المتحدة والاتصالات الدولية، ورأيى أن هذا لن يأتى بنتيجة. فمن الطبيعى أن ما أخذ بالقوة لايمكن أن يسترد بغيرها.

على أن التحول الذى طرأ على تفكير عبد الناصر بعد الهزيمة، هو أنه ليس من الحكمة ولا الحنكة السياسية أن يناصب العداء للغرب ويتهم كل من يسير فى فلكه من العرب بالخيانة، ويطلب منهم التخلى عنه بعد أن وضع كل البيض فى سلة السوفيت، ولما دقت ساعة العمل التى يشد الصديق أزر صديقه فيها تخلى عنه السوفيت ولمس لهم العذر فى ذلك. فلماذا لايعطى العذر لهؤلاء العرب الذى يتشيعون للغرب؟ ولذلك لما قطعت مصر علاقاتها مع الأمريكان نتيجة لما ثبت من اشتراكهم عملياً فى العدوان على مصر لم يطلب من العرب الذين لهم علاقات مع الغرب أن يقطعوها. بل طلب من السعودية والأردن وغيرهما الضغط على الأمريكان ليتخذوا موقفاً أكثر اتزانا وحيادا فى معالجتهم لقضايا الشرق الأوسط أو يخففوا من انحيازهم لإسرائيل ـ وهو ما فعله السادات فيما بعد ـ والدليل على صحة ما نقول أن عبد الناصر وهو يقطع علاقته مع الأمريكان اتصل بالملك حسين وقال له: إنك لن تستطيع أن تستعيد الضفة الغربية إلا إذا وافقت أمريكا على ذلك. وقال أيضاً: إن الضفة الغربية تختلف عن سيناء اختلافاً كلياً. لأن اليهود مهما بقوا فى سيناء سنة أو اثنين أو ثلاثة يعرفون أنهم لن يستطيعوا البقاء فيها إلى الأبد. لأنهم بالدرجة الأولى يريدون إخراج مصر من صراع المصير العربى، وبالتالى فهم لايريدون اشتباكا دائما مع مصر، وإنما هدفهم باستمرار صلح منفرد معها. وكذلك فإنه ليس فى سيناء إلا عدد قليل من الناس، وهؤلاء الناس معظمهم من البدو ولديهم فرصة الحركة دون البقاء فى مواقع ثابتة رهائن للاحتلال. ومعنى ذلك أننى استطيع أن أصبر على سيناء حتى أستعد، وأما الضفة الغربية فوضعها مختلف.. سيناء بالنسبة لنا مصرية وأما الضفة الغربية فهى مأساة.

حمّى عبد الناصر مصر من هزيمة افدح من يونيو ٦٧

اخطأ الناصريون عندما اتهموا السادات بالخيانه

كان هدف عبد الناصر من حرب الاستنزاف هو تسخين جبهة القتال.. وكسر حاجز الخوف عند القوات المسلحة... كما فعل مونتجمري فى حرب العلمين بعد هزيمة الإنجليز أمام قوات روميل.. والتقاط الأنفاس... حتى يتم له إعداد الجيش من جديد.. والدخول فى معركة أخرى مع إسرائيل... ينتصر فيها فيمسح عار الهزيمة التى منيت بها قواته... ويرد الجميل للشعب الذى تمسك به رغم مسئوليته الكاملة عن هذه الهزيمة... وكان لعبد الناصر هدف آخر غير تلك الأهداف جميعاً... وهو إشعار المحافل الدولية وخاصة مجلس الأمن... وهى تبحث قرار وقف إطلاق النار.. وحل القضية أن المعركة لم تنته بعد .. وأن مصر والعرب لن يسلموا بالهزيمة.. وأن هذه الهزيمة ليست آخر المطاف... حتى لايأتى القرار الذى تصدره تلك المحافل مكافأة للمعتدى... وخذلانا للمهزوم.. ولذلك تحمل عبد الناصر خسائر تلك الحرب الفادحة فى الأرواح والمعدات والمنشآت فى العمق.. وعلى طول قناة السويس.. بسبب المدافع الإسرائيلية الثقيلة التى لم تجد أية مقاومة من قواتنا المسلحة التى فقدت معداتها الدفاعية والهجومية على السواء.. والطائرات الإسرائيلية التى ألقت قنابلها فى عمق الوجه البحرى فى مدرسة بحر البقر دون أن تتصدى لها أية طائرة أو توجه إليها طلقة مدفع... وقصور الصواريخ القديمة التى كانت منصوبة، وقد كان لعبد الناصر ما أراد. فقد جاء القرار رقم ٢٤٢ والقرار رقم ٣٣٨ اللذان أصدرهما مجلس الأمن يقران بأن الأرض التى استولت عليها إسرائيل بعد ٥ يونية سنة ١٩٦٧ هى أراض محتلة.. لابد أن تعود إلى أصحابها الأصليين، وهما القراران اللذان أصبحا أساس التسوية فيما بعد خمسة عشر عاماً من هزيمة يونيو.

على أن عبد الناصر لم يكن على ثقة بأن أى قرار سياسى سيعطى الأمة العربية كافة حقوقها - بعد أن أدرك توجهات القوتين العظميين وقتذاك لحماية إسرائيل.. ثبت لديه بالدليل الحى والبرهان القاطع. ففى عام ١٩٥٦ تحالف الإنجليز والفرنسيون مع إسرائيل فى

عدوان أكتوبر من هذا العام، ولم تنضم الولايات المتحدة لهذا التحالف ولكنها لم تعترض عليه.

وفى عام ١٩٦٧ وضحت هذه التوجهات تماماً عندما تخلى الروس أصدقاؤه عنه فى المحنة وحجبوا عنه السلاح، بل وطلبوا منه بطريقة متغطية ـ كما يقولون ـ الاستجابة لمطالب الأمريكان. وظهر أن كل همهم هو دعم تواجدهم فى مصر دون الدخول فى صراع مع الأمريكان، وهنا فقط أدرك عبد الناصر أن الحرب وحدها لن تحل نزاع الشرق الأوسط ولكن لابد من عمل سياسى أساسه الحوار والتفاوض. ولكن يمكن القيام بحرب محدودة لإحراز نصر فى التحرك السياسى والدبلوماسى، ومن هنا أطلق شعاره القاتل أن ما أخذ بالقوة لايمكن أن يسترد بغيرها، لينطبق فقط على حالة هزيمة يونيو وليس لينطبق على النزاع برمته. وهذا هو الخطأ الكبير الذى وقع فيه الناصريون عندما اتهموا أنور السادات بالخيانة لما حمل لواء الحل السياسى. لأنه لو قدر لعبد الناصر أن يعيش لفعل ما فعله السادات. وقد بدأه بالفعل عندما توجه ى عام ١٩٧٠ إلى السوفيت وطلب منهم إمداده بأسلحة هجومية ولم يمدوه إلا بالأسلحة الدفاعية فقط. عندئذ اضطر إلى قبول مبادرة روجرز وزير خارجية الولايات المتحدة أنذاك للتسوية السلمية، وأبلغ القادة السوفيت بذلك وكان ذلك فى ٢٩ يوليو، ـ أبلغ السوفيت بموافقته على مبادرة روجرز فى هذا التاريخ وكان قبله بحوالى شهرين وجه فى أول مايو من العام نفسه خطابه الشهير إلى الرئيس الأمريكى نيكسون، وهو يحتفل مع العمال بعيدهم فى شبرا الخيمة لأول مرة بعد نكسة يونيو ـ وهو الخطاب الذى أحدث دوياً كبيراً فى مصر والبلاد العربية لا لتحول عبد الناصر إلى أمريكا وهو الذى عاداها طوال فترة حكمه من عام ١٩٥٢ وحتى عام ١٩٧٠ ـ وإنما لما احتواه هذا الخطاب من مضمون يخالف كل مادرجت عليه ثورة يوليو. فقد جاء فيه بالحرف الواحد: إننى أتوجة من هنا بالنداء إلى الرئيس ريتشارد نيكسون أننا التقينا ـ تقابلت معه فى سنة ١٩٦٣ وتكلمنا بصراحة ـ واعتقد أنه مازال يذكر حديثنا وكان فى هذا الوقت خارج السلطة. أقول: إننا برغم كل ماحدث لم نغلق الباب نهائياً مع الولايات المتحدة برغم القنابل والنابالم والفانتوم. . إلى أن قال عبد الناصر: «إننى أتوجه إلى

الرئيس نيكسـون، وأقول له: إن الولايات المتحـدة الأمريكية على وشـك أن تقوم بخطوة بالغة الخطورة ضد الأمة العربية.. إن الولايات المتـحدة الأمريكية حين تقوم بخطوة أخرى على طريق تأكيد التفوق العسكرى لصالح إسرائيل سـوف تفرض على الأمة العربية موقفاً لارجعـة فيـه. موقفـا علينا أن نستنتج مـنه ما هو ضرورى، وذلك سـوف يؤثر على كل علاقات الولايات المتـحدة الأمريكية بالأمـة العربية لعشـرات السنين. وربما لمئات السنين. أننى أقول له وهو يعرف أننى أعنى ما أقول أن الأمة الـعربية لن تستسلم ولن تفرط، وهى تريد سلاما حقيقيا ولكنهـا تؤمن بأن السلام لايقوم على غير العدل.. إلى كل ما جاء فى هذا الخطاب من إعـلان من جانب عبـد الناصر أنه يطالـب بحل سلمى مشـرف يقر الحل العادل والشـامل والدائم للصراع العربى - الإسـرائيلى. ويكفى أن يوجه عبـد الناصر هذا الخطاب إلى نيكسون بالرغم من عدم وجود أية عـلاقات بين مصر وأمريكا، وهكذا أدرك عبد الناصر أنه ليس فى مقدوره محو إسرائيل من الوجود. كما كان يمنى الشعب المصرى والشعوب العربية جميعاً منذ قيامه بثورته، ولكن إدراكه هذا جاء متأخراً جداً.

على أية حال فإنـه يذكر لعبد الناصر أنه منـذ هزيمة يونيو إلى أن وافته المـنية لم يقدم على عمل أرعن، ولم يركب موجة القيادة الجديدة للقوات المسلحة بعد الهزيمة التى كانت تصور له أن فى مقـدورها تحرير سيناء والوصول إلى الحدود الدوليـة مع إسرائيل فى نهاية عام ١٩٧٠ لأنه فى هذه المرة كـان مطلعاً تماماً على أحوال الجـيش ودرجة استعـداده لهذه المهمـة. وكان على قناعـة تامة بأه من المستـحيل أن ينجز جـيش هذه المهمـة بنجاح وهو لايملك الأسلحة الهجوية المطلوبة لها. وكل ما يملكه أسلحة دفاعية تخترقها إسرائيل كل يوم وتنفذ إلى ضرب أعـماق مصر، وأنه مازال أمامه سنوات كى تتـوفر له تلك الأسلحة الهجومية، ويقوم بالتدريب عليها، فلم يغرر به كما غررّ به فى عام ١٩٦٧.

عندما أعلنت قيادة الجيش أنها قادرة على إحراز نصر على إسرائيل وأنه لما أعطى إشارة البدء تبين له أنها قيادة من ورق، وتفرقت أيدى سبـا عند بدء المعركة ودمر سلاحها الجوى بأكمله فى ساعـات، لم يردعبد الناصر أن يقع فى هذا الخـطأ مرة أخرى، ولذلك رفض

التصـديق على خطة الفـريق محمـد فوزى رقم ٢٠٠ وأمـره بالتركـيز على تنفـيذ الخطة «جرانيت» بعد انقضاء الفترة الأولى من وقف إطلاق النار مباشرة فى نوفمبر عام ١٩٧٠، وبرفضه هذا حمى مصر من هزيمة كانت ستكون أفدح من هزيمة يونيو.

وكانت إسرائيل قد حققت كل أهدافها فى القضاء نهائياً على الجبهة المصرية التى كانت ترتعد منها، وتعمل لها ألف حساب. فلم تستطع الاشتـباك معها وحدها وإنما كل اشتباك معـها كان باشتـراك الغرب كله أو بعضـه. يمدها بالعون المادى والعـسكرى. بل ودخول المعركة مـعها، على أنه لو كان عبـد الناصر واثقاً من النصر لأعطى إشارة البـدء فى تنفيذ الخطة ٢٠٠ على الفور. فـقد كان حريصـاً على إزالة آثار الهزيمة وإحراز نصـر عسكرى بأسرع مـايمكن. يرتب عليه نشـاطاً سياسـياً مكثفـا لحل نزاع الشرق الأوسط. كمـا كان حريصاً فى الوقت نفسه ألا يعرض نفسه لهزيمة ثـانية لايقوى على احتمالها تهز الثقة التى أولاه إياها الشعب ومـازال ينتظر منه الكثيـر، وقد كان حـرصه على اسـتمرار هذه الثـقة وتقويتـها لايعـدله أى حرص آخـر، وكان واثقا أن طريق اسـتمـرار هذه الثقـة هو عمل عسكرى ناجح، ولذلك وجه جل اهتمامه على تطهـير الجيش من الانهزاميين لصنع جيش قادر على الحرب يرد الكرامـة التى أهينت ويحسن سمعة المـقاتل المصرى التى وصلت إلى الحضيض.

وفى الوقت نفسه كان حريصاً على الظهور أمـام الشعب بمظهر القوة حتى يقر فى ذهنه قدرته على تحقيق كافة آماله، ولذلك كان حريصاً أن يحجب عنه كل ما يظهره بالضعف، وفى هذا المجال بلغ اهتمامـه بإخفاء المرض الذى أشتد عليه بعد الهـزيمة، وزاد من نسبة السكر فى جسـمه التى أثرت على نشـاطه وتحركه، فكان يحـرص الحرص كله وهو يرتاد مبنى قـصر القبـة ومبنى الحكومة المركزيـة فى هليوبوليس أن يخلى طريقه إلا من حـرسه الخاص جداً حتى لايشـهد غيره تعثره وهو يصعد درجـات السلم القليلة فى طريق مكتبه حتى أن أحد المندوبين نشر خبراً مؤداه أنه أمضى ساعتين فى عيادة قصر القبة فثارت ثورته وطلب التحقيق مع هذا المندوب.. ولما نشر مندوب آخر أن ملجس الوزراء عقد فى منزله

ـ ملمحا بطريق غير مباشر أن عـقد هذا المجلس فى منزله بسبب عدم قدرته على الحركة ـ ولما نقلت الإذاعة النبأ فى نشرتها الصباحية وفى أقوال الصحف تملكه الغضب والغيظ حتى أننى فوجـئت. وكنت مندوباً للإذاعة فى رياسة الجـمهورية. باتصـال تليفونى من السـيد سامى شرف فـى ساعة مبكرة فى منزلى بأحـد الأيام ليسألنى عمـا إذا كنت الذى وافيت الإذاعة بهذا النبأ. وبدأ حديثه بالإطراء على هذا النبأ ولكننى لم أقع فى الفخ. فمن طبعى ألا أنسب لنفسى مجداً لم أفعله، ونفيـت له أن أكون أنا صاحب النبأ. فسألنى إذا لم أكن أنا صاحـبه فـمن أين حصلت عليـه الإذاعة؟ فقلـت له: ربما تكون قد نقلتـه من إحدى الصحف أو أذاعـته فقط فى نشـرة أقوال الصحف، وانتـهى الحديث التليفـونى ـ وكانت الساعة قد قاربـت الثامنة صباحاً ـ ولعب الفأر في عبى وبعد نصف سـاعة كنت فى قصر القبة ولشد ما كانت دهشتى أننى علمت أن تحـقيقاً يجرى مع المندوب صاحب النبأ الذى نشرته جـريدته دون الجرائد الأخرى. فآمنت بأن عـبد الناصر فى هذه المرحلة كان يـعوقه المرض لإنجاز مايريد وأنه لو كان صحيحاً معافى لكان له شأن آخر.

منع عبد الناصر إسرائيل من تحقيق أهدافها السياسية والعسكرية فلم ينته الصراع العربى الإسرائيلى إلى الأبد... ولم تختف الناصرية

حقق عبد الناصر جل آماله فى إزالة آثار هزيمة يونيو عام ١٩٦٧ رغم اشتداد المرض عليه الذى حدد نشاطه وتحركاته فى أحرج مراحل ثورته، واستطاع إصلاح ما انكسر وترميم ما انهدم فى وقت قياسى. فلم ينته عام الهزيمة إلا وكان قد صفى القيادة العسكرية السابقة - وعلى رأسها المشير عبد الحكيم عامر - التى كانت السبب الرئيسى فى حدوث الهزيمة، وصفى المخابرات العامة التى كان يرأسها صلاح نصر المتشيع لعبد الحكيم عامر وأقوى أنصاره الذى كان جهازه أحد أسباب الهزيمة بتقاريره الخاطئة والمبالغة.

وأعاد تشكيل الاتحاد الاشتراكى وأجرى انتخابات جديدة لمجلس الأمة، وأعاد تشكيلات أجهزة القطاع العام ومؤسساته وشركاته، ونظف الجيش من كل أعوان المشير عبد الحكيم عامر بنفس الطريقة التى اتبعها مونتجمرى القائد البريطانى عندما تولى قيادة الجيش البريطانى فى العلمين بعد هزيمته المنكرة أمام جحافل الجيش الألمانى بقيادة روميل وحقق النصر عليه، وبذلك قضى عبد الناصر على كل مراكز القوى التى تشل يده تماما وتمنعه من معرفة حقيقة مايدور فى سائر أجهزة الدولة، وجمع كل الخيوط فى يده بعد أن طهر تلك الأجهزة من سائر أعوان القيادة العسكرية السابقة، وتفرغ بذلك تماماً لأعادة تسليح الجيش وإعادة ثقته بنفسه وبقدرته على إزالة كل آثار العدون والقيام بحرب شاملة ضد إسرائيل يمسح بها عار هزيمته الشنيعة، كل ذلك أشعر إسرائيل بأنها لم تحقق أهدافها السياسية والعسكرية بتدمير القوات المسلحة المصرية تدميراً شاملاً. حيث لم يتخل الشعب عن عبد الناصر. بل تمسك بقيادته ليعيد الأمور إلى ما كانت عليه قبل الهزيمة، وهى التى كانت تعتقد أن تدميرها للقوات المسلحة المصرية سينهى الناصرية ويغير النظام فى مصر، وينهى الصراع العربى، الإسرائيلى إلى الأبد، وهنا أدركت إسرائيل أن الخطر الحقيقى الذى يتهددها لايكمن فى تدمير الجيش المصرى بقدر ما يكمن فى النظام الناصرى فاتجهت لإسقاطه - كما جاء فى كتاب «تحطيم الآلهة - قصة حرب يونيو ١٩٦٧» للمؤرخ المحقق

الدكتور عبد العظيم رمضان الذى استنبط هذا الاتجاه فى تفكير إسرائيل من واقع ما جاء على لسان قادتها خلال حرب الاستنزاف. ومنها ما جاء على لسان واحد منهم كان قد قاد حرب العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ وهو موشى ديان الذى جاء فى واحد من أحاديثه الصحفية قوله: «ليس هناك خطر يمكن أن يوقف إسرائيل عن التوغل داخل مصر طالما كان بوسعها ذلك وإلى أبعد عمق نستطيع. فالدفاع عن عمق على هيبة مصر كما كنت من قبل، فقد اهتزت شرعيته السياسية وثبت فشل تنظيماته السياسية والعسكرية. فلم يعد يحظى منهم بثقتهم المطلقة فى قدرته على اجتياز تلك المحنة، ولم يعد الزعيم الذى كان يقلق الغرب وإسرائيل معاً. وإنما أصبح الزعيم الذى فقد بريقه ومجده، ويحاول أن يستعيد هذا البريق وذلك المجد وهو يقترب من خريف العمر وفى احرج فترة يمر بها. فلا الظروف يمكن أن تساعده، ولا الصحة يمكن أن تعاونه.

ونحن العرب تعودنا من قادتنا على مدى أجيال طويلة من الزمان إلا يصحوا ويفيقوا إلا إذا حلت بهم الأزمات وطحنتهم المحن والهزائم، وفى أوقات تخلى شعوبهم عنهم يتلكأون فى شد أزرهم ويتباطأون فى مد طوق النجاه إليهم ـ كما تعودنا فى حال قوتهم لا يستخدمونها لتحسين حال شعوبهم وإنما يستخدمونها فى إحكام قبضة الدكتاتورية عليهم وكتم انفاسهم، وربما إذلالهم والتباهى بقوتهم فى تخويف بعضهم والعدوان على بعضهم البعض، ويعطون بذلك الفرصة ليشب عليهم أعداؤهم الذين يذيقونهم العسف والهوان عدوا والإذلال. حدث ذلك مع عبد الناصر ومع من سبقوه من القادة فى مختلف البلاد العربية، ومن جاءوا بعده، والمظلوم الوحيد هم شعوبهم، وهم المخطئون أيضاً فهم الذين يمدون لهم الحبل على الغارب ويشجعون هؤلاء القادة على التمادى فى الأخطاء وارتكاب أفظع الجرائم فى حقهم، صورة قاتمة مأساوية انفرد بها العرب دون سائر شعوب العالم، وقد تكررت الصورة فى شخص صدام حسين بعد عبد الناصر. فقد هدد إسرائيل بقوته كما فعل عبد الناصر، ولكنه فاجأنا باستخدام هذه القوة فى العدوان على أشقائه العرب، ولم يستخدمها ضد إسرائيل ولو استخدمها فى مكانها الصحيح لكان حالنا غير الحال المتردى الذى نحن فيه.

إسرائيل تكون فى سماء القاهرة

ثم قال إن الأهداف السياسية من غارات العمق هى المحافظة على معنويات الشعب الإسرائيلى وتقويض الزعامة السياسية والعسكرية فى مصر، أما الأهداف العسكرية فهى منع مصر من بدء حرب شاملة أخرى، وتمكن القوات الإسرائيلية من الصمود على طول جبهة القناة.

جاءت تصريحات ديان هذه فى شهر يناير ١٩٧٠ أى بعد مرور حوالى ثلاث سنوات وسبعة شهور على انتصار إسرائيل العسكرى الساحق على القوات المصرية وتدمير معداتها وروحها المعنوية. قامت خلالها اسرائيل باستبدال تفوق طيرانها وانفتاح سماء مصر أمامه بعمليات جريئة على طول جبهة القناة أثبتت بها أوجه الخلل والعجز فى النظام الدفاعى المصرى لإثارة الشعب المصرى على قيادته ليثور ويسقطها، وهى لم تسقط فى أعقاب هزيمة يونيو كما كانت تتخيل وتحلم، وإنما فوجئت بأن نظام الدفاع المصرى رغم خلله وعجزه وتخلفه فى المعدات قد بادلها الهجمات وأحدث لها بعض الخسائر، ولما فشلت هذه العمليات فى تحقيق أهداف إسرائيل فى إسقاط النظام وتهييج الشعب عليه، وإنما زادت من تصميم القيادة العسكية المصرية على المضى قدماً فى الحرب بتأييد من غالبية الشعب.

وتصريحات ديان هذه صدرت بعد أن قامت اسرائيل بغارات جوية فى عمق الأراضى المصرية فى التل الكبير وفى مناطق مختلفة فى الوجه البحرى والقاهرة والإسكندرية وامتدت هذه الغارات إلى بعض الأهداف المدنية، وراح ضحيتها آلاف المدنيين العزل، واعتذرت القيادة الإسرائيلية عنها بادعاء أنها وقعت بطريق الخطأ، وعجز معداتها عن تحديد الهدف، ولكن الحقيقة أنها قصدت بإغارتها على الأهداف المدنية إصابة الشعب المصرى بحالة من اليأس والإحباط ليتخلص من عبد الناصر ويسقطه وهو الذى لم تسقطه هزيمة يونيو، ولكن الشعب المصرى بحضارته العريقة وأصالته لم يتخل عن عبد الناصر. بالرغم من قناعته أنه بعد الهزيمة لم يعد الزعيم القوى الذى كان كالأسد عندما يزأر تدخل كل الحيوانات فى أقفاصها خوفاً منه، ولم يعد الزعيم القوى القادر على الحفاظ على مصر.

احتوى عبد الناصر تردد الروس والصراع العربى

ولم يفقد اعصابه لحظة.. إلى أن خرج من المحنة

بوصول المدد العسكرى الروسى وانتهاء مصر من بناء حائط الصواريخ تغير ميزان القوى تماماً، واضطرت إسرائيل إلى تغيير استراتيجيتها بعدما نجح عبد الناصر فى حملية الجبهة الداخلية والجبهة العسكرية من الانهيار، وأصبحت إسرائيل لاتستطيع اختراق عمق مصر بطائراتها الفانتوم. عندئذ عرفت إسرائيل أن المصريين عبروا الهزيمة وقرروا الدخول فى معركة ثأر اليوم أو غدا وأن أملها ومعها الأمريكان والغرب. فى أن هزيمة يونيو ستنهى الناصرية والنزاع العربى ـ الإسرائيلى هو مجرد سراب لاوجود له. وتوقف الإعلام الإسرائيلى والغربى عن تصوير القوات المسلحة الإسرائيلية بالأسطورة التى لاتقهر، وأن لديها ترسانة عسكرية يصعب تحطيمها أو التغلب عليها. لأنها تملك الذراع الطويلة التى تمتد فى لحظة أو لحظات إلى أعمق الأعماق إلى القاهرة والأسكندرية والصعيد. إلى دمشق وعمان تدمر وتخرب، وأنه لم يصبح أمام العرب سوى التسليم بلا شروط للمطامع الإسرائيلية. لأنهم هزموا فى الحرب الأخيرة على طريق الصراع الطويل، ولأن إسرائيل تملك العلم والتكنولوجيا والحضارة، والعرب يملكون التخلف والجهل والفقر والمرض، وأنهم. . أى العرب ـ سقطوا فى بئر لاقرار له، وهيهات هيهات أن يخرجوا من ظلمته ليروا النور من جديد.

هذا التغيير المفاجئ فى ميزان القوى الذى أحدثه عبد الناصر بعد جهد خارق على المستوى الداخلى والخارجى. تحمل خلاله تردد الروس وضياعهم وتلكأهم فى تحديث سلاح القوات المصرية وصراع العرب الذين ينتمون للروس، والعرب الذى ينتمون إلى الأمريكان. إلى أن استطاع الاستفادة من قدرة الاثنين معا لتخفيف حدة هزيمته من الناحية العسكرية والناحية السياسية. . بدأت إسرائيل تحصن مواقعها على الجبهة المصرية تحسبا للمعركة القادمة فشيدت خط بارليف الحصين الذى قال عنه موشى ديان ساخراً ـ وقيادة إسرائيل تناقش احتمال قيام المصريين بالهجوم عبر القناة ـ «إنه يلزم تدعيمها بسلاحى المهندسين الروس والامريكان معا». وقيل عنه أن تحطيمه يتطلب استخدام عدد من القنابل الذرية، ولم تكتف إسرائيل بخط بارليف الحصين. بل جعلت من قناة السويس سدا منيعاً

فى وجه القـوات المصرية إذا ما أرادت الهجـوم عليها بما أضافتـه إليها من موانع صـناعية كثيرة. إضافة إلى أن أمريكا ـ بحكم العلاقات الاستراتيجية التى تربطها بإسرائيل ـ فتحت لها ترساناتهـا العسكرية وزودتها بأدق تطورات صناعة السلاح، ولم تحـجب عنها أى سر عسكرى مهما كانت خطورته وقوته، وعلى الجـانب الآخر ـ فرغم أن الاتحاد السوفيتى لم يتعامل مع عبد الناصر بنفس تعامل أمريكا مع إسرائيل من الناحية العسكرية إلا أنه استطاع عن طريق إثارة حفـيظته بالمخـاطر الجسـيمة المترتبـة على سقوط مـصر فى أيدى الهـيمنة الأمريكية ـ استطاع أن يحصل منه على أكبر قدر من السلاح والتكنولوجيا المستحدثة تعطى للقوات المسلحة المصرية القدرة على مجاراة إسرائيل فى سباق التسلح القائم بينهما. تحسباً للمعـركة القادمـة. ولو أنه لم يصل إلى حجم السـلاح الذى حصلت عليـه إسرائيل من ترسانـة أمريكا العسـكرية. على أية حال اسـتطاع عبد الـناصر أن يوقف غرور إسـرائيل وتباهيها بقواتها المسلحة وقدرتها العسكرية الفائقة، وأن هزيمة يونيو ليست آخر المطاف فى الصراع العربى ـ الإسرائيلى كـما تخيلت. وأن حلمها بالاستـيلاء على الأراضى العربية بالقوة قد تبدد نهـائياً وألا حل لهذا الصراع سوى البحث عن تسـوية عادلة وشاملة تعطى كل الأطراف المتنازعة كافة حقوقهـا المشروعة دون جور طرف على حقوق الطرف الأخر، ولذلك مـرت الشـهور بـعد شـهـر يناير فى عـام ١٩٧٠ دون إزعـاج ـ اللهم إلا بعض الاحتكاكات المحدودة على الجـبهة ـ وبعض التصريحات المثيرة من الجـانبين التى لاتتعدى مـرحلة الكلام، والتى لم تدخل فى حيز الـتنفيـذ، وصاحـب ذلك أمر أزعج إسـرائيل وأقلقها، وهو التغيير الجديد فى السياسة الـعربية برمتها. عسكرية كانت أم اقتصادية، وأن مصر هى صاحبة ورائدة هذا التحول كله كما كانت من قبل الهزيمة المبادرة دائماً فى يدها دون تبعـيه تتحكم فى مصـيرها ومصيـر أمتها العـربية بوحى من نفسهـا، وتواجه أخطر المواقف باقتدار وحزم ومن ورائها أمة عربية كانها خلقت من جديد تحـسن استخدام ثرواتها البشرية ومفاتيح ضغطها المتعددة لتحريك القضية عالميا. نفذت بها إلى مواقع كان لايمكن أن تنفذ إليها، وتحاور أمريكا والغرب وعقل إسرائيل بلغـه غير اللغة التى كانت تستخدمها من قبل وتثير حفيظتها، ولكن بحلول شهر سبتمبر ـ أيلول ـ من عام ١٩٧٠ نفسه حملت الأحداث موقفاً مأساوياً لطخ هذه الصورة الجميلة وكان على عبد الناصر مسئولية المحافظة عليها حـتى ينهى كل آثار هزيمة يونيو. هذا الموقف المأساوى المفـاجئ هو مذبحة أيلول ـ

كمـا سميت سـبتمـبر فى الأردن ـ ضد المقـاومة الفلسطينية لمنـع تواجدها على الأراضى الأردنية، وهى كانت واحدا من الأسلحة التى يستخدمها عبد الناصر للضغط على إسرائيل وتدخل العـديد من الدول العربيـة لدى القيـادة الأردنيـة والقيـادة الفلسطينية لإنهـاء هذه المذبحة، ولكنهم فشلوا تماماً ولاح فى الأفق آحساس أن العالم العربى مقدم على عهد من الأنقســام والخلاف والتناحر المستـفيد الوحيـد منه إسرائيل، ولكن عبد الناصـر استطاع أن يحتــوى الخطر الجديد، وبمسـعاه تم الأتفـاق على عقـد مؤتمر قـمة عربى فى القـاهرة لم يتخلف عن حضوره أحد. بهدف التوصل إلى اتفاق بين الملك حسين والمقاومة الفلسطينية وعقد المؤتر فى فـندق هيلتون القاهرة وكان مـحمد حسنين هيكل وزير إعـلام مصر الذى أدار هذا المؤتمر إعلاميا، وأشهد أنه أدارة بحنكة وقدرة وخبرة فائقة.بحيث لم يخرج منه نبأ آثار جدلا على الجانب العربى ولا على الجانب الدولى ـ رغم ماحفل به المؤتمر من خلاف وانقسام استخدمت فيه أنواع من الألفاظ النابية والجارحة لم يسبق أن استخدمت بين ملوك وزعماء وقادة من قبل. وكـان المؤتمر ساحة لمواجهات عربية صاخـيه يسبب رواسب قديمة لم يستطع الزمن تبديدها، ويسـبب خلافات أساسية بين نظم الحكم القـائمة، ومنها تلك التى حدثت بين الملك حسين وياسر عرفات وبين الملك فيصل ومعمر القذافى، ولكن عبد الناصر استطاع أن يلم الشمل عندما بين للمتناحرين والمختلفين حول مسائل صغيرة يمكن تفاديهـا والتفرغ لمواجهـة الموقف الدقيق والصعب الذي تجـتازه أمتهم العـربية الذى ينتظر أعداؤها مثل هذه الخلافات ليوجهوا لها ضربة قاصمة أعنف بكثير من ضربة يونيو التى لم نتخلص من آثارها بعد، واسـتجاب الجميع لجـمال عبد الناصر، وانتـهى المؤتمر على خير وصدر عنه اتفاق القـاهرة الذى وقعه الجميع، والذى وضع حداً لمذبحـة رهيبة لم ترتكب مثلهـا إسرائيل ضد الفلسطيـنيين حتى هذا التـاريخ، وأعطت الفرصة لإعـلام إسرائيل أن يظهر للعالم أنهـا ليست الخطر على العرب كمـا يدعون، وإنما الخطر كل الخطر يكمن فى العرب أنفســهم ـ دعاة الحرب والإرهاب والتطرف ـ وأنهـا فى حاجة لمن يحميـها منهم.

هكذا اسـتطاع عبـد الناصر وهو فى قـمـة المحنة والخطر المحدق به من كل الاتجـاهات ـ استطاع أن يضع حـدا لتلك المذبحة الرهيـبة التى كادت أن تؤدى بالأمـة العربية إلى غـير راجعة وهى سمة الزعماء الذين لايجود بهم الزمن إلا نادراً.

لماذا فكر عبد الناصر فى فتح الحوار مع امريكا لحل مشكلة الشرق الأوسط؟

عاش عبد الناصر أحداث عام ١٩٧٠ بحلوها ومرها، صادف فيها أياماً مجيدة وأخرى حزينة، عاش انتصارات اشرأبت بها الآمال إلى عنان السماء جددت إليه الأمل والرجاء فى أن يعود إلى سابق مجده كما كان قبل نكسة يونيو ممسكاً بزمام الأمور لايطاوله أحد، يتخذ مايحلو له من قرارات وإجراءات دون أية معارضة، وإنما يحظى بالتأييد والتصفيق الذى كان يحظى به دائماً كزعيم هز أركان الاستعمار وزلزل الأرض التى يقيم عليها، وعاش عبد الناصر فى عام ١٩٧٠ انتكاسات بلغ فيها القنوط واليأس إلى أقصى الحدود تبخرت معها كل آماله العريضة فى الخروج من أزمة النكسة وأحاط به الفشل وأزعجة وأرهبه على كافة المستويات. داخلية كانت أو خارجية.

لقد كان عام ١٩٧٠ بالنسبة لمصر والعرب وعبد الناصر مشحوناً ساخناً. فيه دارت حرب الاستنزاف والردع للعدو الإسرائيلى كما لم تدر من قبل طوال حقبة السنوات الثلاث بعد النكسة، وفيه وصلت علاقات عبد الناصر بالاتحادالسوفيتى إلى درجة من السوء لم تصل إليها هذه العلاقات من قبل بسبب مماطلة الروس ومراوغاتهم فى مد عبد الناصر بما يحتاجه من الأسلحة الهجومية، وحتى الأسلحة الدفاعيةلم يرسلوها إليه دفعة واحدة وسماء القاهرة مفتوحة للغدر الصهيونى تضرب طائراته وصواريخه المناطق العسكرية والمدنية على السواء فى كل أنحاء مصر دون أن تجد أية مقاومة، وفيه اضطر عبد الناصر أمام هذا الخطر الداهم أن يفتح حواراً مع الولايات المتحدة لحل أزمة الشرق الأوسط سلميا متخليا عن المبدأ الذى كان ينادى به فى أعقاب النكسة الذى يقول: «ما أخذ بالقوة لابد أن يسترد بالقوة» بدءا بخطابه الشهير الذى وجهه إلى الرئيس الأمريكى فى هذا الوقت نيكسون، وكان ذلك فى أول مايو من العام نفسه، وفيما بعد قبل مبادرة روجرز السلمية وهو يتباحث مع الزعماء السوفييت فى الكرملين. كاظماً غيظه منهم وكنت معه ممثلا للإذاعة وحرمتنا صحف وإذاعة وتليفزيون ووكالات أنباء السلطات

السوفييتية من حضور هذه اللحظات التاريخية، وحرمت المصورين أيضاً من التقاط صور هذا اللقاء واكتفت بتوزيع صورة واحدة له ثابتة غير نابضه بتعبيرات هذا اللقاء على وجوه المتفاوضين والمتباحثين مع نبأ مختصر جداً لم تذكر فيه المواضيع التى بحثت ولا الخلافات التى وقعت، ولكننا استطعنا كمندوبين للصحف والإذاعة والوكالات الحصول على تفاصيل مادار فيما بعد. وعدنا إلى القاهرة. وأذكر أن عبد الناصر كان متجهما جداً باديا على وجهه القلق والخوف من المستقبل لامستقبله هو كزعيم مرموق، وإنما مستقبل مصر والمنطقة برمتها ومايتنظرها من مفاجآت. ولكن عبد الناصر كعادته فى مواجهة تلك المواقف الصعبة والدقيقة سرعان ما نفض عن نفسه الخوف والقلق واستعاد حيويته ومقدرته وبدأ يعد لتجاوز الأزمة ورأى فى لحظة حتمية مصارحة الشعب بكل مادار على مائدة المباحثات وخلف الكواليس. وكانت الفرصة أمامه متاحة تماماً. فقد كان مؤتمر الاتحاد الاشتراكى السنوى منعقداً فى قاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة، وذهب على الفور إلى هناك ليلتقى بالمجتمعين من الأعضاء وألقى كلمة انفعالية بما حدث، وأخذ يلف ويدور فيها عن كيفية إحاطة المؤتمر العام للاتحاد الأشتراكى بما حدث، وأذكر ـ وكنت موجوداً فى القاعة ـ أن عبّد الناصر عندما أعلن موافقته على مبادرة روجرز لم يظفر بالتصفيق والتأييد الذى تعود عليه وإنما انطلق تصفيق منقطع فى جنبات القاعة على استحياء تام. فقد كانت النفوس معبأة تماما ضد الولايات المتحدة الأمريكية لمساندتها وأنحيازها التام إلى جانب إسرائيل ومباركتها لعدوان إسرائيل على الأراضى العربية . . تمدها بالسلاح والمال لقتل أرواح عربية بريئة ـ كل الذنب الذى اقترفه هو دفاعها عن أرضها والذود عن حياض وطنها.

على أن السؤال الذى تردد بقوة وإلحاح فى ذلك الحين كان هل عبد الناصر كان يتوقع هذا الموقف غير المؤيد لموافقته على مبادرة روجرز، بالطبع كانت الإجابة عليه بالإيجاب. فقد كانت كل أجهزة الدولة مسخره لخدمة الروس والتعاون معهم. لأنهم كانوا يقفون فى دائرة معارضة كل أفعال إسرائيل القمعية فى الأراضى العربية المحتلة ويطالبون بجلائها عن هذا الأراضى والاعتراف بحقوق الشعب الفلسطينى المشروعة فى إقامة دولتهم المستقلة على أراضيهم المحتلة. كما كانوا يطالبون بجلاء إسرائيل عن الجولان السورية كذلك. بل إن

القيادة السوفيتية أعلنت أنها لن تعيد علاقاتها بإسرائيل التى قطعتها بسبب عدوانها على العرب إلا إذا جلت عن الأراضى المحتلة فى الضفة الغربية وقطاع عزة والجولان السورية، ولم يدرك أعضاء المؤتمر العام للأتحاد الأشتراكى أن موقف الروس إبان النكسة لم يكن على مستوى هذا الحدث الكبير بسبب مفاجأة عبد الناصر لهم دون أن يمهد لهم أو يذكر لهم أسباب موافقته على مبادرة روجرز. كما أن المفاجأة أربكتهم وجعلتهم لايستطيعون تبين المسلك الذى ينبغى أن يسلكوه فى ظل تغيير الموقف على هذه الصورة، ولو أنهم فيما بعد أيدوا عبد الناصر وآزروه فى مسعاه لحل النزاع العربى ـ الإسرائيلى بالطرق السلمية وتخلوا عن تأييدهم للروس وخففوا من غضبتهم على الولايات المتحدة الأمريكية.

ولما نجح عبد الناصر فى نزع فتيل الخلاف بين الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية الذى تخلف عن مذبحة أيلول «سبتمبر» لمنع تواجد المقاومة الفلسطينية على الأراضى الأردنية أيدته الجبهة الداخلية والدول العربية وناصروه فى مسعاه السلمى وأيدوه فى اعتقاده بأنه ليس هناك محظور فى العمل السياسى إلا الاستسلام، وأن أى عمل عسكرى لابد أن يكون له غطاء بعمل سياسى يقنع العالم بأن مصر فعلت كل شئ من أجل حل عن طريق الأمم المتحدة والأتصالات الدولية. ولكى يكون هذا الحل مرضياً ومستجيباً للحق والعدل ينبغى أن يشعر العالم بأن النكسة وإن هزت الوحد العربية وأصابت الجبهة الداخلية بتصدع إلى حين فإن الوحدة العربية والجبهة الداخلية قد عادت إلى تماسكها، وغدت جسرا صلبا تتكسر على ضفافه كل محاولات إسرائيل الاستمرار فى احتلال الأراضى العربية وإنكار حقوق الشعب الفلسطينى المشروعة.

ولابد أن نسجل لعبد الناصر هنا أنه فى كل مباحثاته مع العرب ومع الروس والأمريكان فى أعقاب نكسة يونيو كان لاينكر أهمية السعى للحل السلمى للخروج من الأزمة رغم تشاؤمه من الفرص المتاحة له بعد أن نجحت إسرائيل وحلفاؤها من الغرب فى إحراز هذا النصر الكبير فى الحرب، وأنهم لن يقبلوا أى حل سلمى إلا إذا كان هذا الحل استسلاماً كاملاً لمطالبها. كما إن هذا النصر أحسن فرصة متاحة للغرب لإخراج الروس

من منطقة الشـرق الأوسط. وإنه ـ أى عبد الناصـر إذا كان قد أعـاد تسليح جيشـه وأعاد للجبهة الداخلية صمودها فإنما فعل كل هذا ليكون عامل ضغط للوصول إلى أفضل الحلول السلميـة للنزاع العربى ـ الإسرائيلى وللقـضية الفلسطينيـة جوهر النزاع ولبه، وليـثبت به للعالم أن قضية الشرق الأوسط لايمكن أن تكون ميداناً للمناورات، والمراوغات والتأجيل، وأنه ينبغى ألا ينظر إلى استعداداته على أنها استعداد لشن الحرب من جديد إذ إن الإصرار على العمل العـسكرى ـ فى وجود حل سلمى مشرف ـ يصـبح نوعاً من الحماقـه يصعب تبريره أمام شعبـه وأمام العالم. فهو كرجل عسكرى يعرف أكـثر من غيره أهوال الحروب ومآسيها ويعرف أن اللجوء إليهـا لايحدث إلا إذا سدت جميع الطرق للوصول إلى تسوية مرضـية للـنزاع لدى كافـة الأطراف، أى أن النكسة ومـاتلاها من أحداث صـقلت فكره وغيرت من خططه. بحيث أصبحت متوازنة لاتطرف فيها ولاتحد، وإنما الرغبة فى التوصل إلى حلول بأقل الخسائر فى الأرواح وغيرها.

الوثائق تؤكد: عبد الناصر أول من فاوض للسلام

ومخطئ من يظن أن عبد الناصر كان داعية حرب

لم يكن عبد الناصر داعية حرب كما يحاول البعض تصويره على هذا النحو دون الغوص فى التحليل المتكامل للأحداث التى تتابعت على عبد الناصر وثورته وأهدافها ومراميها الحقيقية العاجلة والآجلة وأسبابها ودوافعها ليعرفوا لماذا حارب إسرائيل عام ١٩٥٦ وعام ١٩٦٧ وهل هو الذى بدأ بهذه الحرب أم كانت مفروضة عليه بهدف إذلاله وتقليم أضافره وفى النهاية الخلاص منه؟

ولو كلفوا أنفسهم عناء البحث وجهد التنقيب عن الحقيقية لتبين لهم أن هذه الحرب دبر لها جهات خارجية هالها وأزعجها ما أحدثته ثورته من تحرير للشعوب من سيطرة الاستعمار والتحكم فى ثرواتها الطبيعية والاستفادة من جميع العائد منها، ودليلنا على مانقوله أن إسرائيل لم تحارب عبد الناصر وحدها. ففى عام ١٩٥٦ اشترك معها انجلترا وفرنسا وهما كانا دولتين مستعمرتين لمعظم الشعوب والدول التى حررها عبد الناصر فى أفريقيا وآسيا ومنطقة الشرق الأوسط، وفى عام ١٩٦٧ شاركت من وراء ستار مع إسرائيل فى حربها لعبد الناصر إنجلترا وفرنسا، وانضم إلى المؤامرة الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى اللذان كانا أمام العالم أعداء. وهم فى الحقيقة بحكم العلاقة العدائية الظاهرة بينهما خط أحمر لايمكن تجاوزه. هذا الخط معروف لهم دون سائر دول العالم، وتأسيسا على ذلك يخطئ من يظن أن هزيمة يونيو التى أرغمت عبد الناصر على فتح الحوار مع أمريكا لحل مشكلة الشرق الأوسط، وأنها كانت السبب فى توجيه عبد الناصر لخطابه الشهير الذى وجهه إلى الرئيس الأمريكى ريتشارد نيكسون وقبوله لمبادرة روجرز وزير الخارجية الأمريكية وقتذاك، وساتخدامه للعرب الأمريكان والعرب السوفيت لممارسة الضغط على كل من أمريكا وروسيا بوصفهما القوتان العظميان اللذان كانا يملكان سلطة التحكم فى مصير العالم. وإنما الذى دفع عبد الناصر لسلوك هذا المسلك هو طبيعة العلاقات التحتية القائمة بينهما. وأن هدفه الرغبة فى تحقيق هدفه فى إقامة سلام يحفظ

للعرب والفلسطينيين كافة حقوقهم بأقل الخسائر فى الأرواح والمعدات. حيث إن طبيعته ضد الحرب كوسيلة للحصول على هذا الهدف وإنما يلجأ إليها عندما تسد أمامه سائر الطرق لتحقيق الهدف الذى قاد ثورته، وضحى بحياته وحياة ضباط الثورة من أجله.

ولو تتبعنا حياة عبد الناصر منذ أن كان طالباً فى الكلية الحربية وبعد تخرجه وانخراطه فى سلك القوات المسلحة والمهام التى أوكلت إليه فى حرب فلسطين التى استهل بها حياته، والأسلحة الفاسدة وقصتها التآمرية على الجيش والشعب معا، والتى كانت السبب المباشر للتعجيل بقيام ثورته الذى بذر بذورها وخطط لها فى ميدان المعركة على ضوء ما شاهده من خيانات عربية وغير عربية من ملوك ورؤساء كانوا أدوات طيعة فى أيدى أعداء أمته العربية والإسلامية والتى صاغت فكره السياسى فيما بعد ببساطة شديدة وتلقائية لامثيل لها لقطع الطريق على حدوث مثل هذه الخيانات فى المستقبل عندما أعلن فى كتابه «البحث عن الذات» أن محور تفكيره هو العمل فى نطاق دوائر ثلاثة. الدائرة العربية والدائرة الإسلامية، ودائرة دول عدم الإنحياز.

وإننى أعترف منذ أن ساقنى القدر لأن أكون قريباً من عبد الناصر كمندوب للإذاعة فى مجلس الثورة الذى كنت مشغولا بدراسة شخصيته الفريدة المذهلة المليئة بالثورة على الأوضاع الفاسدة ماضيها وحاضرها لتقييمها وتشريحها لمعرفة حقيقة واحدة. هل هذه الشخصية دموية أم أنها شخصية مصرية تكره العنف وتجنح للسلام؟ وآليت على نفسى أن أجمع كل الحقائق من فائض ما نشر عنه فى أمهات الكتب والصحف العربية والأجنبية بعد أن ساقنى القدر فيما بعد بحكم مهنتى - أن أكون ملما بكل التفاصيل الدقيقة التى تضمنتها تلك الكتب والصحف، وأيضاً وكالات الأنباء الاجنبية. العالمية والعربية والمحلية والإقليمية وقد سبقنى إلى ذلك كتاب أصدره زميل لم أشرف بمعرفته ولا الالتقاء به هو الكاتب الصحفى رشاد كامل بعنوان «عبد الناصر فى تل أبيب» الذى احتوى وثائق هامة لكل من يريد البحث عن فكر عبد الناصر السياسى من خلال جهوده وإنجازاته حول فكرة السلام بين العرب وإسرائيل. وهل كان مؤيدا للسلام أم داعية حرب وعنف؟ استنبط فيه

المؤلف أو جمع كل ما جاء عن القـضية فيما يخص عبـد الناصر فى كل ما نشر من تحليل وتعليق وحقائق . سواء فيما نشر من تصريحات أو مذكرات أو كتب.

فمـاذا جاء فى هذا الكتاب القـيم الصادق. باخـتصار شـديد من إحصاء لمشـروعات التفاوض مع إسرائيل الذى تميز بالدقة والوضـوح اللازمين لكل باحث عن الحقيقة المجردة عن الهوى والغرض؟ لقد جاء فيه أن هذه المشروعات بدأت كما يقول محمود رياض وزير الخارجيـة، والذى تولى فترة طويلة منصب الأمين العـام للجامعة العـربية منذ عام ١٩٦٩ ولم تكن اختراعا من نبات أفكار الرئيس الراحل أنور السادات، وجاء فى مذكرات الرئيس الراحل محمد نجيب الذى يصر من كتبوا التاريخ على تجاهله. حيث أشار فى بداية الثورة إلى دور عبد الناصر فى هذا الأمر قائلا: «إن بعض الإسـرائيليين تفاءلوا عندما عرفوا أن عبد الناصر الـذى كان على اتصال ببعض ضباط المخـابرات الإسرائيلة فى حرب فلسطين هو أحد رجال الثورة، وقد أكد أقوال نجيب ومحـمود رياض ما نقلته مجلة «التحرير» نقلا عن الصحافـة العالمية عام ١٩٥٣ حول قـصة المحادثات السرية فى النقب بين عـبد الناصر أثناء حـرب فلسطين عـام ١٩٤٨ والقـائد الإسرائيلى إيـجال اللون والتى يـرويها ضـابط المخابرات الإسـرائيلى كوهـينى الذى التقى خـمس عشـرة مرة بعبـد الناصر أثـناء الحرب للتمهـيد لمفاوضات الســلام. كما أكد أقوال نجـيب ومحمود رياض بما جـاء فى مذكرات الأميرالاى السيد طه الذى كـان يطلق عليه الضبع الأسود.إظهارا لشجاعـته وفدائيته - التى تؤكد أن بداية هذه المفاوضـات كانت فى عام ١٩٤٨ حيث مـثل ومعه جمال عـبد الناصر الجانب المصرى.

ويقول الكاتب الصحفى رشاد كامل فى كتابه إن محمد حسنين هيكل الذى كان أقرب المقربين لعبد الناصر أكد فى شهـادته فى كتابه «زيارة جديدة للتاريخ» أن عالم الذرة البرت أينشتين قـام بالوساطة بين مصر وإسرائيل فى مفاوضات السلام. كـما أن هيكل ذكر فى كتب أخـرى له أن أندرسون المبعـوث الأمريكى والرئيس اليوغـوسلافى تيتـو الذى كانت تربطه بعبد الناصر صداقة حميمة، والسياسى الرومانى بترو بورناكو قد قاموا بالوساطة بين

عبد الناصـر والإسرائيليين من أجل السـلام، وأيضاً ما جاء فى مذكـرات ثروت عكاشة ـ التى سجلت وجـهة نظر ناحوم جـولدمان فيمـا يتصل بالسلام، والتى كـان يعرفها عـبد الناصر جـيداً من صديقه وزمـيله ثروت عكاشة. إضافـة إلى شهادة وليم بولك المبـعوث الأمريكى إلى مـصر أثناء حرب الاسـتنزاف عام ١٩٦٩ وإعـداده مسودة اتفـاق سلام بين مصر وإسرائيل وأن عبد الناصر تسلمها ووافق عليها بعد تعديلها.

كل هذه الشهادات والوثائق تؤكـد جهود عبد الناصـر من أجل السلام منذ عام ١٩٤٨ حتى وفاته، وتؤكد أيضاً حقيقة هامة هى أن الغرب وإسرائيل لم يفهموا عبد الناصر، ولو فهمـوه ما كانت تلك الحروب التى اشـتعلت، وما كانت الأحـداث اتخذت الشكل الذى اتخذته حتى يومناهذا.

حضرت وفاة عبد الناصر... وأحداث الليلة الحزينة

النبأ الذى كان يريد سماعه قبل وفاته

لم يكن أحد يتخيل أن نهاية عبد الناصر العملاق ستتوافق مع نهاية اتفاق القاهرة الذى أنهى واحدة من أكبر المآسى العربية، وهى مذبحة أيلول (سبتمبر) الأسود كما كان يطلق عليها. تلك المأساة التى لو لم يقدر لها تلك النهاية التى وضعها وصنفها وبوبها عبد الناصر فى اتفاق القاهرة لتبدل تاريخ الأمة العربية، وأصبحت مشردة محتلة من اسرائيل واليهود، وضاعت فلسطين وضاع معها العرب كامة وكحضارة وكتاريخ.. ففى اليوم التالى لتوقيع اتفاق القاهرة وعبد الناصر يودع الزعماء العرب فى ميناء القاهرة الجوى فى نهاية شهر سبتمبر عام ١٩٧٠ الذى كان آخرهم أمير دولة الكويت. شعر عبد الناصر بتعب مفاجئ استلزم عودته فى عربة الأسعاف المجهزة بكافة المستلزمات الطبية المعدة لمثل هذه الطوارئ، والتى كانت تلازم موكب عبد الناصر منذ أن أصيب بمرض القلب وداهمه السكر وتملك جسمه وأعاق نشاطه وتحركاته.

طيرت وكالات الأنباء الخبر مع تفاصيل مذهلة لمرض عبد الناصر ورحلات العلاج التى قام بها فى الاتحاد السوفييتى، ورأى الأطباء فى مستقبل حياة عبد الناصر. وبسبب التعتيم الإعلامى الذى كان مفروضاً على إنباء صحته لم تشر صحفنا للنبأ إلا تلميحا ولذلك كان نبأ وفاة عبد الناصر مفاجأة مذهلة للشعب الذى كان يرى عبد الناصر قوى البنية صحيح البدن، ولايعرف خفايا صحته المعتلة. ومن هنا كثرت الأشاعات وتعددت حول وفاته فمن قائل أنه مات مسموماً بمؤامرة محبوكة حتى لاينكشف الأمر، وأشارت أصابع الأتهام إلى مراكز القوى التى تخلص منها السادات فيما بعد. الذين ـ حسب ماتردد.. كانوا يطمعون فى الاستيلاء على الحكم بتشجيع من الاتحاد السوفييتى. ومن قائل أن عبد الناصر قتل والقاتل مجهول. ومن قائل أن الولأيات المتحدة الأمريكية وإسرائيل والأتحاد السوفييتى قد تعاونوا معاً فى سيناريو التخلص من عبد الناصر الذى اتفقت مصالحهم جميعاً عليه. وكان لكل فريق حججه التى يؤكد بها صحة رأيه، ولكن لم يملك فريق

منهم وثيقة واحدة ترجح هذا الرأى وتؤكده دون غيره. المهم أن أحدا من الشعب لم يصدق أن عبد الناصر فارق الحياة كغيره من البشر العاديين، ولم تكن هناك مؤامرة عليه من هذا أو ذلك، وكان هذا هو الأمر الغريب ـ وللشعب عذره فى ذلك ـ فقد مرض عبد الناصر وهو لايعلم شأنه شأن العدد من المواقف والمعلومات التى لم يزود بحقيقتها، فكانت غالباً ما تصل إليه مشوهة أو مبتورة أو فى ثوب إشاعات يجوز عليها التكذيب أو التصديق. وعليه فإن وفاة عبد الناصر ستظل لغزا إلى أن ينكشف سره بالوثائق التى لاتكذب والأدلة القاطعة غير المشكوك فى صحتها أو صدقها شأنها شأن ماحدث من قبل فى وفاة المشير عبد الحكيم عامر التى لم يعرف سرها حتى الأن. . . . هل هى انتحار أو قتل أو غير ذلك؟، وشأنهما شأن ماحدث من بعد فى اغتيال السادات، وعما إذا كان اغتياله قد تم بمؤامرة شارك فيها مصريون بدافع من جهات أجنبيه وتحريض منها. فلم يحدث أن قتل رئيس مصرى وسط قواته المسلحة كما قتل السادات.

المهم أن عربة الأسعاف نقلت عبد الناصر إلى منزله، وكنا معه ندعو الله أن يشمله برعايته ويشفيه من مرضه، وعدنا نحن مندوبى الصحف والإذاعة ووكالات الأنباء إلى منازلنا ولم نهدأ من متابعة تفاصيل مرضه، ولكننا أيضاً لم نحصل على الحقيقة، إلى أن دق جرس التليفون فى منزلى فى مساء يوم ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٧٠ وكان المتحدث من قصر القبة يستدعينى على عجل، وطوال الطريق من الجيزة. حيث موطن إقامتى وحتى القصر الجمهورى بالقبة كانت الخواطر تتزاحم على ذهنى. حيث كان الراديو والتليفزيون قد بدأ كل منهما يذيع آيات من القرآن الكريم دون إعلان أى نبأ أو النبأ الذى استدعى إذاعة القرآن الكريم فى كافة قنوات التليفزيون، وعلى سائر موجات الإذاعة باستمرار مع الغاء كافة البراج المعلن عن إذاعتها، لم يعرف أحد من الشعب سبب إذاعة هذا القرآن. البعض منهم توقع أو أشاع أن شيخ الجامع الأزهر هو الذى توفى والبعض الآخر توقع وفاة أحد الزعماء العرب. ولكن أحداً منهم لم يفطن إلى أن المتوفى هو عبد الناصر، وأن إذاعة النبأ تأخر إلى حين الإعداد الجيد لشئون عديدة فى الدولة حتى لاتقع أحداث تؤثر على أمن واستقرار البلد، وطوال الطريق كنت اتفرس وجوه الناس فى إشارات المرور

عندما تتوقف العربة المقلة لى بها، وكنت ألمح فيـها التجهم الشديد والحزن والآسى ـ رغم عدم معرفـتهم عن أسباب إذاعة القرآن الكريم فى الإذاعة والتليـفزيون. حتى أنا نفسى لم أتوقع وفاة عبد الناصر. فكثيرا مـا ألم به تعب مماثل وشفى وعاد إلى مزاولة عمله بنشاط عجييب، وكنت أتوقع أن يكون التعب الذى ألم به والذى شاهدته قد زال وغدا سيستأنف نشاطه.

ولدى وصولى إلى قصر القبة تأكدت أن الكارثة قـد وقعت، وأن عبد الناصر قد فارق الحياة، فقد شاهدت الأعلام فوق القـصر منكسة والحزن والأسى بادياً على كل من التقيت بهم فى القـصر، وأنا أجاوز البـوابة المسمـوح لنا بالدخول منهـا إلى القصر. وعـلى بعد خطوات منها ارتمى على مـحمود الجيار وهو يـجهش بالبكاء وقال لى إن عبـد الناصر قد مات وجسمانه مسجى فى ثلاجة القصـر، كان الرجل فى حالة يرثى لها. فقد فارقه رفيق حياته وولى نعمته، فلم أتمالك نفسى، وتبادلنا سويا البكاء فقد كان عبد الناصر بالنسبة لى ـ بصرف النظر عن كـونه رئيسا للـجمهورية ـ قـد غمرنى بعـطف فاق عطف أبى وأمى، ووقف بجانبى فى مواقف مـأساوية تعرضت لظلم بين فيهـا، وأنا مهيض الجناح لا أملك لنفسى ضـرا ولا نفعاً، وكان عـبد الناصر هو الذى يعطينى حـقى ويدفع الظلم عنى أمام الذئاب التى كانت تريد افتـراسى، ولديهم كل القدرة على تنفيذ مآربهم الخـسيسة، ولكن عبد الناصر حمانى من غدرهم الذى لم يكن له داع أو سبب، لكل هذه الأسباب وأسباب أخرى أتحـرج أن أذكرها هدنى نبـأ وفاة عبـد الناصر كمـا هد الملايين من شعـبنا الأصيل الوفى.

وفى الطريق الطويل من بوابة القصـر إلى غرفة الصحـافة الذى كان مفـروضاً علينا أن نقطعه مشـياً على الأقدام بسبب دواعى الأمن تمالكت نفسـى ونفضت الحزن الذى تملكنى من مفرق رأسى إلى أخمص قدمى، وتفرغت لعـملى لاوافى الإذاعة بتفاصيل تلك الليلة الحزينة، وعرفت أن اجتمـاعاً مشتركاً معقوداً فى قاعـة الاجتماعات فى الدور الأول من القصر. يشهده الوزراء وأعضاء مجـلس الرئاسة الذين كانوا أعضاء مجلس ثورة يوليو من

قبل. أو كل من بقى منهم على قيد الحـياة، أو من بقى منهم فى ذمة الحكم، وعرفت أن عبد الناصر كان قد فـاق من غيبوبته واستمع إلى نشرة الساعـة الخامسة فى الإذاعة، وكان تعليقـه أن النشرة لم تتـضمن النبأ الـذى كنت أود الاستمـاع إليه وحاولنا جـاهدين نحن مندوبى الصحف والإذاعة والوكالات معرفة النبـأ على وجه اليقين، ولكننا لم نتوصل إليه فقـد فارق عبد الناصـر الحياة دون أن يفـصح عن هذا النبأ وسيظل هو الأمـر سراً إلى أن تكشفه الوثائق والمستندات أو يكشـفه الذين لازموا عبد الناصر فترة مـرضه. وقال البعض منا أن عبد الناصـر كان يريد أن يسمع أن السلطة انتقلت إلى زكريا محـيى الدين، وحجة الذين قالوا ذلك أن عبد الناصر توفى وهناك عدد من النواب له أقدمهم زكريا محيى الدين الذى كان قد قـدم استقالته. ولكن رجال القـانون أفتوا بأن من حقه أن يتولى المسـئولية بعد عبد الناصر. فاستقالته لم تقبل، ولكـنه لم يكن متواجداً فى الاجتماع المشترك المعقود حاليـاً. فمنذ أن قدم اسـتقالتـه نفض يديه من كل المسـئوليات ولزم بيتـه، وربما كان هو الوحيد الذى لم يسجل مذكراته فيما بعد. أما البعض الآخر فكان يؤكد أن النبأ الذى كان يتوقع عبد الناصر الاستماع إليه هو خلاص المقاومة الفلسطينية من الملك حسين انتقاما من المذابح التى نصـبت لأفرادها، وكـانت أنباء قـد أذيعت عن تفاصـيل هذا الأمر لم تتـأكد صحتـها، على أية حال فقد مـات عبد الناصر ومـات هذا السر معه، وكانت مـعه أسرار عديد لو كشف النـقاب عنها لرسمت تاريخ الثورة الحـقيقى وأضاءت العـديد من الحقائق التى اكتنفها الغموض.

فشل عبد الناصر فى إقامة الحياة الديمقراطية السليمة

ونجح فى القضاء على الاستعمار والإقطاع وسيطرة راس المال على الحكم

تقييم فتـرة حكم عبد الناصر سيظل معلقاً إلى أن يـزول الغموض الذى مازال يكتنف بعض أحـداث تلك الفتـرة، وتتضح حـقائق تضع النقط على الحـروف حول العـديد من علامات الاستفهام القائمة، وتجـيب على أسئلة واستفسارات دارت حول تلك الأحداث المأساوية والديناميكية والـدرامية والأيدلوجيه ويكتمل اكتـشاف الوثائق والأسانيد والأدلة. سواء المصرية منها والأجنبية أيضاً من دول لعـبت أدواراً هامة وصلت فى أحيان كثيرة إلى حد التآمر على مصر وشعبها ومستقبل الدول النامية قاطبة.

عندئذ يمكن تقييم فترة حكم عبد الناصر الدسمة بتأثيرها وتفاعلها وتداعياتها ونتائجها فى تلك الحقبة الهامة من تاريخ مصر، ومن ثم يـمكن الوصول إلى التقييم الصحيح لثورة يوليو ككل على المسـتوى الإقليمى والمسـتوى العالمى، وعليه فلا الذين رفـعوها إلى عنان السـماء، ولا الذين جـردوها من ملابسـهـا الداخلية توصلوا إلـى هذا التقـييم. فكلهـا استنتـاجات واستنباطات وشـهادات ورؤية من شخصـيات يجوز عليهـا الخطأ والصواب، وربما الفترة التى يمكن أن يجوز عليها التقييم الصحيح هى فترة العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ بعد أن أذيعت الوثائق البـريطانية والفرنسية والأمريكيـة، وبعد أن تبينت بعض الوثائق المصرية أمـا بعد تلك الفترة فمـا زال تقييمهـا مبتوراً والرأى فـيها مازال مبـتسرا. فهزيمة يونيو البـشعة لم يستطع أحد من المحللين والمختصين وكـتبة المذكرات والخواطر أن يشفى غليل الباحـثين. رغم مرور مايزيد عن ربع قرن على هذا الحـدث. فلا أحد منهم استطاع أن يقطع عما إذا كـان ماحدث كان خيانه أم مؤامـرة. ولم يستطع واحد منهم أن يحدد مسئولية القيادة السياسية ومـسئولية القيادة العسكرية عن تلك الهزيمة. حتى الوثائق والمستندات التى كشف عنها محمد حسنين هيكل الذى كـان معاصراً لهذه الفترة ومشاركاً فى أحداثهـا لم تكتمل بعـد منذ انصب اهتمـامه على جمع ومناقـشة الوثائق الأمـريكية وحدها دون حصوله على الوثائق الإسرائيلية والبـريطانية والفرنسية وغيرها من وثائق دول

كانت مشاركة فى التخطيط لهذه الهزيمة، وإن اختلفت أدوارها وتباينت من ناحية أهميتها، والقدر الذى شاركت به كما أن التحليلات والتعليقات على أحداثها التى أوردها محمد حسنين هيكل إن كانت اتسمت بقدر كبير من الحيدة والنزاهة والحيدة والبعد عن التحيز. فإنها لم تخل من التعاطف معها فى أحيان كثيرة بحكم تشيعه لعبد الناصر وثورته.

على أنه رغم التقييم الأعلامى الذى كان سمة لاخلاف عليها خلال تلك الفترة، ورغم غياب الحرية والديمقراطية التى كانت السبب الرئيسى والجوهرى فى هذا الغموض الذى حجب الحقيقة عن أعيينا. فإن هناك قضايا كان الإجماع عليها قائماً عند تحديد ماتم وما لم يتم من أهداف الثورة السنة التى أعلنها عبد الناصر مع بداية نجاحها، فالإجماع قائم على أن عبد الناصر نجح فى تحقيق أهداف ثلاثة من تلك الأهداف الستة إلى حد كبير. فقد نجح فى القضاء على الإقطاع والاحتكار وسيطرة رأس المال على دفة الحكم، ولكنه فشل فى إقامة الحياة الديمقراطية السليمة والعدالة الاجتماعية والجيش الوطنى القوى، وفشل عبد الناصر فى تحقيق تلك الأهداف يرجع إلى أنه كان مشغولا بتأمين ثورته ضد أعدائها فى الداخل والخارج. الذين حاولوا الأنقضاض عليها مرات عديدة، ولذلك لم يستطع عبد الناصر أن يحل تلك المعادلة الصعبة. فلم يستطع التوفيق بين إطلاق حرية التعبير فيما يذاع وينشر ويطبع، وبين تأمين الثورة ضد من يريدون ابتلاعها رغم محاولاته العديدة. ولكى نكون منصفين وعادلين وجادين ونحن نقيم دور الثورة فى مجال الحرية والديمقراطية والنهوض بأدوات الإعلام والثقافة والأدب والفن فى ثورة يوليو ينبغى ألا نغمط حقها. وينبغى أن نفرق بين جوهر ومضمون ما كانت هذه الأدوات تنقله إلى الشعب وبين المنشآت الضخمة التى شيدتها الثورة فى هذا المجال التى أسهمت أسهاماً إيجابياً وفعالا فى تطويرها لتواكب التطور فى وسائل الاتصال والتكنولوجيا. فالإذاعة كانت عملاقه بموجاتها المتعددة وقوة محطات إرسالها، واللغات واللهجات التى كانت تذيع بها. بحيث وصل إرسالها إلى العديد من أنحاء العالم ينقل الحضارة والتطور والثقافة المصرية، وهى التى أنشأت التليفزيون فى عام ١٩٦٠ على الرغم من المعارضه

التى كانت قائمة وقتذاك ومطالبتها بتوفير نفقاته لمواجهة الحالة المعيشية. التى كانت قد بدأت تسوء، ويصعب مواجهتها على الغالبية العظمى من الشعب. وهى - أى الثورة أو عبد الناصر التى كانت سباقه فى رصد الجوائز التشجيعية والتقديرية التى كان لها الفضل الكبير فى تنشيط حركة الأدب والثقافة والفكر فى الستينيات على الأقل، وهى التى أنشأت أكاديمية الفنون ومعاهدها المختلفة وهيئات الثقافة الجماهيرية والكتاب والفرق السيمفونية وفرق الموسيقى التى وسعت دائرة المشتركين فى النشاط الإعلامى والدولى والثقافى، وفى مجال الفن، وهى التى أنشأت وزارة الثقافة التى نشطت المسرح، وأصبح فى مصر ١٤ فرقه مسرحية بعد أن كانت لها فرقة واحدة هى فرقة المسرح القومى.

وللحق والحقيقية فإن الثورة فى مرحلتها الأولى من عام ١٩٥٢ وحتى عام ١٩٥٦ وماتلاها من أعوام حقبة عبد الناصر حاولت جاهده حل المعادلة الصعبة التى تحدثنا عنها، ولكن يؤخذ عليها أنها فى محاولتها هذه لم تستطع أن تتحمل الآثار المرتبة على إفساح المجال الكامل للحرية والديمقراطية. وعلى سبيل المثال لاالحصر فإن أول محاولة كانت مبكره جداً. فبعد مرور عام أو يزيد قليلاً على قيامها - أى فى النصف الثانى من عام ١٩٥٣ عندما دعا عبد الناصر - وهو رئيس للوزراء ومحمد نجيب رئيساً للجمهورى المفكرين والمثقفين والكتاب ورؤساء تحرير الصحف آنذاك قبل التأميم للالتقاء به فى مجلس الثورة وكانت الرقابة قد رفعت وعم البلاد جو من الديمقراطية والحرية استمتعت فيه الصحافة وأدوات الإعلام بحرية التعبير والتمنى والنقد. وأجمعت وقتذاك على ضرورة عودة الجيش إلى ثكناته وعودة الحكم إلى المدنيين، وهو ما كان يطالب به محمد نجيب، والغريب أنه فى ذات الوقت كان الشعب يتظاهر فى صخب كبير ويطالب ببقاء الثورة والجيش فى الحكم، ويعلن رفضه للديمقراطية والحرية والدستور، ويهتف لسقوطها جميعاً، وكان موقفاً غريباً يوحى ويؤكد بأن هناك صنعة ولعبا من جانب الثورة، لأنها لم تستطع أن تتحمل آثار منحها الديمقراطية والحرية. فأعادت الرقابة على الصحف وأعقب ذلك مذبحة الصحفيين ومذبحة القضاء والتنكيل بكل كاتب أوصحفى تجرأ وطالب بعود الجيش إلى ثكناته والاكتفاء من الثورة بطردها للملك وتغيير نظام الحكم من الملكية إلى

الجمهورية. وقــد حار المراقبون فى تحليل هذه الظاهرة الغريبة. شــعب ينادى بقتل الحرية والديمقراطية، ومفكروه ينادون بتوسيع نطاق الحرية والديمقراطية، وحكام يحاولون منحها بالقطارة بما يتفق مع مصلحتهم هم، وليس بما يتـفق مع مصالح البلاد العليا، ولم يجدوا من تبرير لهــذه الظاهرة سوى قــولهم بأن الإصلاحات والإنجـازات العملاقـة التى أتى بها عبد الناصر فى حكمــه الدكتاتورى والشمولى بهرت الشعب المصرى كـما بهرت الشعوب العربية. فلم يــستجب لعبد الناصــر عندما حاول إقامة حـياة ديمقراطية ســليمه التى نص عليــها المبــدأ السادس مــن مبــادئ الثورة، وأنا لست مــع هذا الرأى. فالشــعب الذى لم يستجب للديمقراطية والحرية استجـاب إليها فيما بعد. بل وطالب بها وإنما فى تصورى أن سبب فــشل عبد الناصر فى مــحاولاته إقامه الديمــقراطية وبناء صرح الحــرية أن الثورة لم تهيئ له ذلك، ولـم تقــدم له من الأمان مايجعــله يثق فى وعودها ويدعمهــا، وإنما الثورة حـركت عناصر معــينة لقيادة تلك المظاهرات لتخرج من المأزق التى وضــعت فيه، وكاد أن يطيح بها. فــالشعب الذى عرف الحرية والديقراطــية هو نفس الشعب الذى لم يقبل فــيما بعــد على الانتخــابات والاستــفتاءات الــتى أقامتــها الثــورة وإنما فوجئ بــأن نتيجــة هذه الاستفتاءات كــانت تقترب من الإجماع والكتاب الذين طالبوا بالحــرية والديمقراطية ونكل بهم لجأوا إلى الكتابة بالرمز خوفاً على حيــاتهم، ومعنى هذا أن الثقة بين الشعب وحكامه كانت مفقوده تماما.

الشعب المصرى برئ من اية مسئولية فى هزيمة يونيو

مسئولية الهزيمة كاملة يتحملها النظام برموزه العسكرية

الشعب المصرى برئ من أية مسئولية فى هزيمة يونيو. مسئولية الهزيمة كاملة يتحملها النظام برموزه العسكرية.

لاجدال فى أن نكسة يونيو - كما سماها عبد الناصر - كانت نتيجة حتمية لسلبيات وأخطاء وقعت فيها الثورة خلال مسيرتها منذ أن قامت إلى أن حدثت الهزيمة الشنعاء. وهى فترة بلغت من الزمن خمسة عشر عاماً كاملة أو أقل قليلا تحدت فيها الثورة قوى كان لها وجود قوى بين شرائح المجتمع، تحدت الأحزاب وتحدت الملاك وأصحاب رأس المال، وتحدت الوجود الاجنبى الذى كان يعشش فى مصالحنا الحكومية وهيئاتها ومؤسساتنا، ولكنها استبدلت هذا الوجود بوجود أجنبى آخر لم يكن أحسن حالا من الوجود الأجنبى الذى سبقه. فقد كان الوجود الاجنبى قبل الثورة وجوداً غربيا والوجود خلال الثورة كان وجودا شرقيا سوفيتيا على وجه التحديد. بدأ فى أعقاب الحصول على صفقة السلاح التشيكى عام ١٩٥٥.

ومنذ ذلك التاريخ دخلت الثورة فى حلبة الصراع بين الشرق والغرب، ولكنها لم تستطع أن تدير هذا الصراع لصالحها وصالح الشعب، بسبب جهل وفودها العسكرية بألاعيب السياسة وحبائلها ومقالبها، والمأخوذ على أسلوب الثورة فى هذا الصراع أنه كان يقوم على أساس من لم يؤيدنا ليس منا - أى هناك خطان أبيض وأسود، فطردت الغرب وارتمت فى أحضان الشرق. وهى التى أسست مبدأ الانحياز وقد ساق عبد الناصر تبريرات عديدة لخروجه عن سياسة عدم الأنحياز. فقد قال بعد هزيمة يونيو بعد أن عرض على السوفييت التحالف معهم والتخلى عن سياسة عدم الانحياز قال: اننا فى الحقيقة نعتبر منحازين فى الأصل. ومن أجل ذلك تعرضنا للعدوان عام ١٩٥٦ وعام ١٩٦٧ كما نتعرض لعدوان آخر مادمنا نسير فى هذا الخط. وأضاف: المهم بالنسبة لنا نشوف فين مصلحة بلدنا. لذلك علينا أن ننظم التعاون بيننا لأنه من غير المنطق أن أكون محايداً بين

إللى بيضربنا وإللى بيساعدنا فإذا كنا نطلب منكم أن تكونوا معنا فى وقت الحرب. فيجب أن نكون معكم أيضاً فى وقت الحرب ووقت السلم، ونحن مستعدون أن نعقد اتفاقية سرية أو علنية.

والواقع أن عبد الناصر بشهادة أعدائه وشهادة محبيه ومريديه كان زعيماً وطنيا يتبع السياسة التى تؤيد استقلال بلده وحريتها كلما أمكن ذلك. فقد حارب الأحلاف الأمنية وعقد اتفاقية الجلاء لإخراج القوات البريطانية من مصر، ولكن كان هناك مسمار جحا. فقد كان هناك أجزاء من قاعدة قناة السويس يقيم فيها خبراء بريطانيون بملابسهم المدنية. كانوا فى حالة استعداد لعودة القوات البريطانية فى حالة وقوع هجوم مسلح من دولة فى الخارج على أى بلد يكون طرفا فى معاهدة الدفاع المشترك بين دول الجامعة العربية، أو على تركيا وهو ما أشار إليه الدكتور محمود فوزى السياسى المخضرم وخاف من نتائجه، ولكن عبد الناصر كان ينقصه الخبرة والحنكة السياسية لإدارة دفة هذا الصراع بين الكبار، وهو ما أشار إليه نهرو الزعيم الهندى بقوله: إن عبد الناصر فى حاجة إلى بعض الشعر الأبيض ومن هذا المنظور يمكننا القول أن عبد الناصر كان على حق عندما عادت الغرب، وكان على حق أيضاً عندما ارتمى فى أحضان السوفيت. لأنه فعل ذلك بهدف إزالة آثار العدوان الإسرائيلى والهزيمة التى منى بها، وفعل ذلك بهدف تأمين استقلال مصر وأمنها القومى. إلا أنه لم يسلم من تآمر الغرب عليه وعدم وقوف الروس المواقف التى كانت تحميه من هذا التآمر. بل أن الشك يحوم حولهم فى أنهم شاركوا فى بعض الأحيان فى التآمر على عبد الناصر. باختصار كان الغرب والشرق على السواء مستغلين مستفدين لثروة مصر مسيطرين عليها، فإذا كان الغرب عندما كان سيد الموقف فى مصر - قد استولى على الذهب المصرى الأبيض، وهو القطن وأرسله إلى مصانع لانكشير فى بريطانيا. فإن الشرق رهن هذا الذهب المصرى لسداد ثمن شحنات الأسلحة التى كان يصدرها لمصر، وكل ذلك فت فى عضد الاقتصاد المصرى ونخر فيه كما ينخر السوس فى الخشب فتردى وتعرى وضعف. وقيل بحق إن الثورة تسلمت الاقتصاد المصرى وهو فى أوج مجده وتركته وهو فى أوج نحسه.

على أنه مهما قيل فى تقييم ثورة يوليو مشوها إنجازاتها الرائعة، ومقللا من مجدها السياسى والاقتصادى. فإن هناك حقائق ستظل شامخة فى تاريخها المجيد لن يستطيع أحد أن يطمسها أو يتجاهلها. فكما قال المؤرخ الكبير الدكتور حافظ رمضان فإن عظمة ثورة ٢٣ يوليو إنما تكمن فى شئ واحد وهو أنها استجابت لحاجة المجتمع المصرى إلى التغيير ليتخلص من فساد الملك وزمرته ويطبق الشعارات التى نادى بها مفكروه وعلماؤه ليستمر نضاله من أجل الحرية والتقدم، وتزول من طريقه طبقات الإقطاعيين والمحتكريين لعرقة وجهده، وقد نجحت الثورة فى نقل البلاد من الاقتصاد الزراعى الراكد إلى الاقتصاد الصناعى المتقدم، وهو إنجاز حقيقى لثورة ٢٣ يوليو الذى لايستطيع أن يمارى فيه أحد. فقد نقلت البلاد حضاريا من المرحلة شبه الإقطاعية إلى المرحلة الرأسمالية. ومن المرحلة الرأسمالية إلى المرحلة الاشتراكية، وكان ينقص هذا التحول الكبير تحقيق الحرّية السياسية للشعب. وعدم تحقيق هذه الحرية هى التى ضيعت الكثير من ثمار هذه النقلات الحضارية. بل أحدثت بها كثيرا من النكسات، ورغم كل هذا النقد الموجه للثورة. إلا انها ستظل الثورة الرائدة التى أيقظت الشعوب ضد ظلم الاستعمار والاستغلال، وستظل الثورة الرائدة التى دكت عروشا وأطاحت بنظم ماكانت شعوبها تحلم بزوالها.

ولكن أين كان الشعب المصرى فى حلبة هذا الصراع الذى رفعته الثورة مع الكبار وهو السيد مصدر السلطات والتشريع؟، هذا الشعب يحلو للبعض عندما يقيمون أسباب نكسة يونيو، ويصنفوا أسبابها ودوافعها وتحديد مسئولياتها أن يحمل هذا الشعب جزءا من المسئولية عن هذه الهزيمة. والشعب برئ منها براءة الذئب من دم ابن يعقوب، والجزء من هذه المسئولية الذى يحملوه للشعب يحملوه من منظور أن الشعب ابتلع الطعم الذى قدمته له الثورة، والذى صور لـه بطولات للثورة لاتعادلها أية بطولة. فـهى التى أسقطت النظام الملكى البغيض، وقضت على الإقطاع وسيطرة رأس المال على الحكم، وأنها الحامية لحقوقهم التى افترسها عهد ماقبل الثورة وقادهم إلى حكم النصف فى المائة، الذى تمتع وحده بالحياة الرحبة السخية. أما الغالبية العظمى من الشعب فقد ظلت مطحونة عشرات السنين تمتص هذه القلة قوتهم ودماءهم لتعيش فى القصور الشاهقة وتركب السيارات

الفارهة. بينمـا الغالبيـة العظمى تعيش فى أكواخ لاتصلح للآدمـيين وكأن الحيـاة الكريمة ليست من حـقهم، وإنما هى من حق تلك الفئة المرفـهة. هم السادة وهؤلاء العبـيد لهم، وصدق الشعب الطعم واستكان له ولم يهب فى وجه رجال الثورة دفاعاً عن حقوقهم ضد أى مساس أو نقصان.

نحن لسنا مع هذا الرأى. فصـحيح أن الثورة خدرته بمعسـول الكلام وحلو الشعارات ونجح إعلامهـا فى هذا المجال إلى حد كبيـر فى تركيز الأضواء على عبـد الناصر وحده. ولكن من المنظور الحقيقى فـإن الثورة فرضت عليه قبضة حـديدية لم يستطع تكسيرها فى مرات عديدة صاح فيها وغضب وزمجر واعترض وثار، ومنها أحداث شبر الخيمة وحلوان وكفر الدوار والأنقلابات المتعددة التى قـام بها الضباط والجنود، ولكن الثورة استطاعت أن تخمدها بين غمضة عين وانتباهتهـا، واستطاع إعلامها أن يمحوها من ذاكره هذا الشعب. بحيث لم يعـرف أحد تفاصيلها ولا بالضـبط ماحدث بها. قـد يكون هؤلاء يؤمنون بهذه النظرية على أسـاس أن هذا الشـعب أيد عبـد الناصـر عندما فـتح أبواب الحـرية وأعلن الديمقـراطية، وأيده عندما قـتل هذه الحرية ودفن تلك الديمـقراطية. ونادى بالدكـتاتورية والشمولية. إلا أنه يعفى هذا الشعب من هذه النظرة أن عـبد الناصر كان قد بهره بقراراته التى كانت معظـمها إنصافا له ولأولاده والأجـيال من بعده، فترك له الحـبل على الغارب إيمانا منه وبه إنه ـ أى عبد الناصر قادر على تحويل الهزائم إلى انتصارات، والنكسات إلى إيجابيات. كمـا أن المألوف أن الشعوب تحت نير الحكم الشمولى لاتستطيع أن تفـعل شيئاً فحركاتها مـحسوبة وأنفاسها مجبوسة. ولذلك ليس من الإنصـاف أن نحمل شعب مصر ذرة من الهزيمـة التى منيت بها قواته المسلحـة، ولايمكن أن نحمله مسـئولية أى تقصـير حدث فى مسيرة ثورة يوليو الطويلة.

«مؤلف الكتاب»

- تخرج فى كلية الآداب عام ١٩٥١ وحصل على ماجستير فى التحرير والترجمة والصحافة عام ١٩٥٥ وحضر عدة دورات للإعلام والسياسة والاجتماع.
- تدرج فى المناصب الإذاعية والإعلامية والصحفية إلى تولى منصب وكيل أول وزارة الإعلام، ومستشار الوزير.
- تولى مهام الإعلام فى رياسة الجمهورية من عام ١٩٧١ حتى عام ١٩٧٤ وعمل مستشاراً صحفيا فى لبنان.
- حصل على وسام الاستحقاق من الطبقة الأولى، وعلى درع الإعلام، وعلى جائزة التأليف القومى عن كتابه «فى المعركة الفاصلة مع العدوان الثلاثى».
- عاصر الأحداث عن قرب بحكم المناصب التى تولاها، ورافق الرؤساء المصريين فى جميع زياراتهم الخارجيه، وأسهم فى مؤتمرات القمة العربية والقمة الأفريقية ودول عدم الانحياز، والمؤتمرات الإعلاميه المتخصصة، وحصل على العديد من الأوسمه والنياشين وشهادات التقدير من رؤساء وملوك هذه الدول.
- انصهرت الأحداث فى بوتقة فكره حتى أصبح واحدا من المراقبين والمعلقين السياسيين المشهود لهم بالتعمق فى مشاكل الشرق الأوسط وقضايا العالم.
- عضو نقابة الصحفيين العالميين والمجالس القومية المتخصصة واتحاد الصحفيين الأفريقيين، وله مؤلفات عديدة عن الإعلام والسياسة والاجتماع.

رقم الإيداع: ٩٧/٣٩٠٥

الترقيم الدولي: 6-177-208-977